روايات غادة

غادة

ايفون كنت

حلم ونداء

www.elromancia.com
مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غـــادة

حلم ونداء

كانت فلورا ترى دائماً أحلاماً يتحقق بعضها وكثيراً ما واجهتها مشاكل بسبب هذ الأحلام.

آخر هذه الأحلام يتعلق بطفل صغير تختطفه عصابة من المجرمين. لكن ليس الحلم هو الذي يدفعها للمغامرة هذه المرة انما الحب.

فالسيد باسكال والد الطفل هو الوحيد الذي صدق أحلامها ولم يسخر منها. ولكن هل صدقها لأنه يحبها أم لأنه فقط بحاجة اليها؟.

- ١ -

كانت فلورا تنظر من خلال نافذة القطار ودموعها تنهار على خديها عندما لاحظت ان الرجل العجوز الذي يجلس مقابلها ينظر اليها، مسحت دموعها وأدارت وجهها، لا ترغب أبداً بالكلام عن مشاكلها مع أحد. وعادت تنظر الى المشاهد التي تركض بالاتجاه المعاكس.

يا الهي! لماذا أنا مختلفة عن الأخريات؟ تساءلت وهي تتذكر نقاشها الأخير مع والدتها:

«فلورا، ألا يمكنك ان تحتفظي برؤياك لنفسك؟ كم مرة حذرتك ان تتجاهلي الأخرين وتتركيهم لأقدارهم؟».

صرخت والدتها بحدة بعد ان أمرت بناتها الأخريات الثلاث بمغادرة الغرفة.

«انها لوريتا التي سألتني اذا كنت أنصحها بالذهاب مع خطيبها للتزحلق في النادي، فنصحتها بعدم الذهاب».

«وتسببت بفسخ خطوبتها من مارك، المهندس الناجح...».

بالتأكيد لم تكن الفتاة تسعى لذلك، لكن هناك شيء ينبؤها بأن هناك خطراً يتهدد شقيقتها، وبالفعل، ذهبت شقيقتها مع خطيبها وحصل بينهما شجار أدى الى فسخ خطوبتهما، فما الذنب الذي ارتكبته فلورا؟.

«أرجوك يا ابنتي، تمتعي بإجازتك عند عمتك، ولكن لا تخبري أحداً برؤياك وأحلامك» توسلت لها والدتها وهي تصطحبها الى محطة القطار.

«أعدك بذلك» أجابتها الفتاة وقبلتها ثم صعدت الى القطار الذي ما لبث ان بدأ بالصفير لينطلق بسرعة تدريجية باتجاه الريف.

لم تكن هذه الأحلام التحذيرية تراودها بشكل دائم، بل كانت تأتيها مرة لتنقطع عدة أشهر أو يصادف ان ترى الأحلام في ليلتين متتاليتين لتنقطع عدة أسابيع بعدها. لكنها كانت تلاحظ ان أكثر أحلامها تتحقق وخاصة تلك التي تنذر بأشياء مؤسفة أو كوارث أو فواجع.

أما أحلامها الجميلة فقلما كانت تتحقق. ومعظم أحلامها كانت تتعلق بأشخاص تعرفهم. أما الأحلام التي تدور حول أشخاص لا تعرفهم، كانت تتحقق وتعرف الفتاة

هوية أصحابها من خلال نشرة أخبار التلفار أو على صفحات الصحف...

توقف القطار في أول محطة على طريقه فنزل بعض الركاب ومن بينهم العجوز الذي يجلس قبالتها ليصعد آخرون، فجلست مكانه امرأة متوسطة السن تحمل طفلاً بين ذراعيها تأملته الفتاة للحظات فتوقف الطفل عن البكاء وابتسم لها، فأخرجت من حقيبة يدها لوح شوكولا كانت قد اشترته من محطة باريس وناولته للصغير. شكرتها والدته وعادت الى الصمت، فشكرتها الفتاة في قلبها لأنها لا ترغب بالثرثرة مثلها.

لكن أحداً لا يشبهها. انها مختلفة عن بقية الناس وقد ميزها الله عنهم بالحاسة السادسة القوية وبأحلام غالباً ما تتحقق. كم عذبتها أحلامها وكم تمنت لو انها لا تنام كي لا ترى هذه المنامات التي تسببت لها بمشاكل كبيرة مع شقيقاتها ومع بعض صديقاتها. وكانت كل مرة تتلقى التعنيف من والدتها ثم تحبس نفسها في غرفتها لتستسلم للبكاء. لكنها وحتى في غرفتها لم تكن تتمتع بالوحدة لأن احدى شقيقاتها هيلدا الأكبر منها تشاركها الغرفة بينما تشغل لوريتا وسوزي غرفة أخرى، ووالدتها تشغل غرفة النوم الثالثة.

لوريتا فسخت خطوبتها مؤخراً بينما هيلدا ترفض فكرة

الزواج من أساسها، أما سوزي فهي في السابعة عشرة من عمرها أي انها تصغر فلورا بعامين.

لم ترغب فلورا بالاحتفال بعيد ميلادها في باريس مع عائلتها، فطلبت من والدتها ان تسمح لها بالذهاب الى عمتها في الريف لأنها أصبحت تشعر ان الجميع يتجنبونها.

حاولت الفتاة عدة مرات ان تحافظ على علاقة جيدة مع معارفها، لكنها كانت تفشل في كل مرة لأنها كانت تشعر بالاختناق، فهي لا تستطيع إعلام أحدٍ عما يراودها من أحلام وتخيلات، وبالتالي تتلقى الاستهزاء والسخرية، حتى ان شقيقاتها أخذن ينادينها بنذير الشؤم.

لاحظت احدى معلمات صفها شجارها المستمر مع زميلات صفها، فأرادت مساعدتها ودعتها لزيارتها في منزلها، لكنها وبعد ان صدقت احدى رؤيا الفتاة السيئة واحترق مطبخ المعلمة، طلبت منها هذه الأخيرة ان لا تزورها بعد اليوم وأخذت منها موقفاً عدائياً.

عاد الطفل للبكاء، فاستفاقت فلورا من ذكرياتها ولكن سرعان ما نام الصغير واستسلمت الفتاة لذكرياتها من جديد.

وتأسفت لأنها تسببت لوالدتها بكل هذا الازعاج. فالسيدة دونا دي مارتين حاولت جهدها ان تفهم ابنتها وتدفع شقيقاتها لتفهمها بالتالي، وقد استشارت طبيباً نفسياً

يعمل معها في مستشفى باريس الوطني، وأبدى الرجل استعداداً لمقابلة فلورا، لكن الفتاة رفضت مقابلته ولم تتحمل فكرة ان ينعتها أحدٌ ما بالجنون أيضاً.

«هذه محطة سان أورلي، ستنزلين هنا آنسة؟» سألتها جارتها وهي تحمل حقيبتها.

«آه، نعم، نعم» أجابتها الفتاة وشعرت بأنها تعود من عالم آخر.

نظرت الى ساعة يدها، انها الثانية ظهراً، فمدت ذراعيها متثائبة ونزلت من القطار وهي تشعر بالتعب بعد هذه الرحلة التي استمرت ثلاث ساعات.

لكنها وكالعادة كانت محط أنظار الجميع، فهي فتاة جميلة ممشوقة القوام بيضاء البشرة زرقاء العينين، شقراء الشعر. كانت ترتدي ثوباً أحمر وتحمل حقيبتها بيد ومعطفها باليد الثانية. انخرطت بين الحشود في المحطة وحاولت ان تكون هادئة، ولكن توترها كان ناتجاً عن هذه الرحلة في القطار التي قامت بها وحدها ولأول مرة في حياتها.

كانت المحطة واسعة مليئة بالناس الذين يسرعون في كل الاتجاهات. ما ان خرجت الى الشارع حتى وقفت تتأمل الأهل والأصدقاء الذين يتعانقون ويثرثرون بأصوات مرتفعة. أحست الفتاة بالوحدة وسط هذه الحشود دون ان تعرف لماذا. فابتعدت قليلاً عن الناس وأشارت الى سيارة

أجرة.

لكنها فجأة أحست بيد قوية تمسك ذراعها، فالتفتت الى الخلف مذعورة.

«سارة، لماذا لا تجيبي...؟».

ولكن الكلمات تجمدت على شفتي الشاب الذي يمسك ذراعها. فأدركت الفتاة على الفور أنه أخطأ وأنه يعتقد انها فتاة أخرى.

«أنا آسف، آنستي... اعتقدت...».

«انني فتاة أخرى؟» قالت له مبتسمة أمام ملامح الارتباك على وجهه.

- ٢ -

لكن الشاب لم يترك ذراعها، وعيناه لم تفارقا وجهها.

«أكرر أسفي... أنا باسكال فرنون، مهندس زراعي، كنت أنتظر فتاة تشبهك كثيراً من الخلف، لكنك أجمل منها بكثير...» وعاد ينظر الى عينيها بإعجاب كبير.

«أنا آسفة لأنني لست تلك الفتاة».

«من أين انت قادمة؟».

«من باريس، وأتوجه الى بلدة لافيني».

«لا بد انك متعبة بعد هذه الرحلة الطويلة... أتسمحين لي ان أقدم لك كوباً من الشاي في مقهى المحطة؟».

«لا أريد ان أتأخر. فعمتي بانتظاري...».

www.elromancia.com

«لا تقلقي، سأوصلك بنفسي، فأنا أقيم في نفس المنطقة».

ترددت الفتاة قليلاً، لكن ابتسامة الشاب طمأنتها وجعلتها تنسى كل تحذيرات والدتها.

اضطرا للإنتظار بضعة دقائق ريثما يجد لهم النادل طاولة شاغرة على رصيف المقهى.

«أهذه أول مرة تأتين الى هذه المنطقة؟» سألها باسكال بعد ان طلب كوبين من الشاي.

«جئت مرة مع عائلتي منذ ثمانية أعوام. لا أزال أذكر جمال مناظر الشمال الطبيعية».

«يبدو انك تحبين الريف، آنسة...».

«فلورا دي مارتين» أجابته بدون حرج:

«تقول والدتي انني أشبه عمتي برناديت، فهي امرأة تحب الريف وتدير أملاكها ومصنعها الخاص بتصنيع المربيات بنفسها».

«هل السيدة برناديت لاكونت عمتك؟» سألها الشاب مادّاً يده نحوها.

«نعم برناديت لاكونت هي عمتي» أجابته بدهشة:

«أتعرفها؟» وتركته يشد على يدها مرحباً.

«انها تقيم في نفس القرية التي أقيم فيها».

«وما هو عملك بالتحديد؟».

«أنا مهندس زراعي، لدي مشاتل لزراعة الأزهار، كنت

بانتظار فتاة جامعية التقيت بها في باريس في مكتب أحد أصدقائي ووعدتني بأنها ستصل اليوم. أنا بحاجة لها لمساعدتي في أعمالي».

«اذا كنت تعرف عمتي جيداً، حاول اقناعها ان تسمح لي بالعمل معك ريثما تصل الفتاة صاحبة العلاقة».

«حقاً؟» سألها وقد أشرق وجهه:

«أتوافقين على العمل معي؟».

هزت رأسها بالايجاب وهي تضحك كالطفلة الصغيرة.

«لن أجد صعوبة في اقناع السيدة برناديت، فهي صديقة قديمة لوالدتي».

عاد الخادم يحمل لهما كوبين من الشاي مع طبق من البسكويت، شربت فلورا كوبها وأكلت البسكويت بشهية.

«يبدو انك جائعة».

احمر وجهها خجلاً فضحك باسكال ثم نادى على الخادم ليحضر لهما طبقاً آخر.

لأول مرة منذ فترة طويلة شعرت الفتاة بالاسترخاء والاستمتاع بوقتها مع هذا الشاب وضحكت بسعادةونسيت خلال النصف ساعة التي قضياها معاً كل شيء آخر.

دفع باسكال الحساب وحمل حقيبتها ليضعها على المقعد الخلفي لسيارته الجيب.

«الأفضل ان ترتدي معطفك» نصحها وهو يدير محرك سيارته.

«لكنني لا أشعر بالبرد» قالت بدلال وتركت شعرها يتطاير مع الهواء.

«ستشعرين بالبرد بعد قليل عندما نبدأ بالارتفاع بين الجبال».

أحست الفتاة بالسعادة عندما غادرا المدينة ووجدت نفسها في الريف، عبرا عدة قرى صغيرة حيث المنازل تبدو أكثر جمالاً مع أواني الزهور على النوافذ والغسيل المنشور على الجبال في الحدائق.

«لا، أرجوك، دعني أستمتع بالهواء النقي». قالت لها الفتاة بمرح عندما حاول ان يرفع غطاء سقف السيارة الجلدي.

كانت الشمس قد مالت نحو المغيب ورغم ضجيج محرك السيارة، كان بإمكانها ان تسمع صفير الهواء الذي يزداد كلما ارتفعا أكثر. ثم عادت لينحدرا الى وادٍ ينساب فيه جدول صغير بين الأعشاب، ليتسلقا بعد قليل بضعة تلال، شدت الفتاة معطفها جيداً حول عنقها فضحك الشاب وقال:

«أصبحنا قريبين جداً من القرية، انظري الى اليمين، انها تلك القرية التي تفترش سفح الجبل».

مدت الفتاة عنقها جيداً وصرخت بفرح:

«نعم، انها قرية لافيني، لكنها تبدو أكبر مما كانت عليه في السابق».

«ذلك لأن المنازل امتدت شرقاً وغرباً، لا تنسي انك

زرتها منذ ثمانية أعوام».

توقفت السيارة أخيراً ونزل باسكال مادا يده نحوها لمساعدتها على النزول بعد ان أطلق منبه سيارته.

على الفور، خرجت عمتها لملاقاتها تتبعها خادمتها.

«فلورا... باسكال...» وضمتها عمتها بين ذراعيها بمحبة ونظرت الى باسكال بدهشة.

«اعتقدت انك لن تأتي، لقد ذهب جوان لاستقبالك في المحطة لكنه لم يجدك فعاد».

«لم أره وبالصدفة التقيت بالسيد باسكال...».

«شكراً لك باسكال لاصطحابك ابنة أخي الى هنا، تفضل واشرب الشاي معنا» قالت العمة ملتفتة نحو الشاب.

التقت نظرات فلورا وباسكال، فابتسم الشاب ولم يقل للعمة انهما تناولا الشاي معاً.

«يجب ان أعود الى المزرعة، شكراً لك، سيدة لاكونت... ولكن يسرني ان ألبي دعوتك بعد العشاء» أضاف بعد تردد قصير.

«أهلاً بك ساعة تشاء يا بني» أجابته العمة وأمسكت بيد ابنة أخيها ودخلتا بينما حملت الخادمة حقيبة الفتاة.

جلست الفتاة مع عمتها في الصالون وظلتا تثرثران وقتاً طويلاً الى ان أعلنت الخادمة ان العشاء أصبح جاهزاً.

اعتذرت فلورا وصعدت الى غرفة الضيوف التي ستكون غرفتها خلال اقامتها في قرية لافيني. فاستحمت وبدلت

ملابسها لترتدي تنورة واسعة خضراء مع كنزة صوفية صفراء.

وعندما نزلت الى الأسفل، استقبلتها عمتها بحنان.

«أشعر ان الحياة دبت في هذا البيت من جديد...».

وظهر الحزن على وجه العمة فجأة، فقبلتها فلورا التي كانت تعلم ان كل هذه السنوات لم تنسيها ابنتها التي توفيت وهي في السادسة من عمرها والتي كانت بنفس عمر فلورا.

«هيا بنا الى غرفة الطعام، يا ابنتي، سيبرد الطعام».

- ٣ -

جلست الفتاة بجانب عمتها وسألتها عن سير العمل في مصنعها، فاجأتها العمة انها تعبت من تحمل مسؤوليات العمل وحدها وهي تفكر ببيعه للتفرغ للإشراف على بساتين الفاكهة.

«كم طلبت من والدك رحمه الله ان يبقى في الريف، لكنه كان يكره رائحة التراب ويفضل الحياة في المدينة، وعندما تزوج، ارتبط بالمدينة أكثر لأن والدتك أيضاً لا تتحمل العيش في الريف، فنصحته ببيع أراضيه التي ورثها عن أهلنا، فباعها ورحل ولم يعد الا عندما اصطحبكم معه قبل ثمانية أعوام».

www.elromancia.com

«وتوفي في نفس العام. . .» قالت الفتاة وهي تضع الشوكة من يدها وسالت دمعة على خدها.

«لا تحزني يا ابنتي، انت لست مسؤولة عن وفاة والدك، انه قدره. كل ما في الأمر، انك تنبأت بخطر يتهدده قبل وفاته بأيام. بالمناسبة، فلورا، ألا تزال هذه الأحلام تتراءى لك؟».

نهضت الفتاة ووقفت أمام النافذة تتأمل القمر الذي يختبىء خلف أوراق الشجر.

«لا» اكتفت بهذه الاجابة وهمت بالعودة الى مقعدها، لكنها لمحت نور سيارة يشع من بعيد.

بعد لحظات، توقفت السيارة أمام المنزل واستطاعت الفتاة ان تتعرف على الجيب الخاص بباسكال.

«عمتي، لقد جاء السيد باسكال» قالت بهدوء.

«ألا ترغبين برؤيته؟» سألتها عمتها بدهشة.

«بلى، لكنني متعبة» ولم تكن تريد ان تلاحظ عمتها رغبتها برؤية الشاب.

«هيا بنا لنستقبله، انه شاب لطيف، ولا أعتقد بأنه سيتأخر كثيراً».

تبعت فلورا عمتها الى الصالون، فوجدت باسكال يهم بالجلوس، ولكن ما ان رآهما تدخلان حتى استقام في وقفته ودنا منهما وحياهما بلطف.

«أهلاً بك، يا بني، تفضل بالجلوس، أرجوك» قالت له

العمة وهي تجلس على كنبتها المعتادة:

«كيف حال والدك؟».

«انه بخير، الا انه لا يصغي الى تعليمات الطبيب ولا يزال يدخن بكثرة» ثم التفت نحو الفتاة التي جلست بعيداً عنه تتأمله بإعجاب.

«كيف حالك، آنسة فلورا؟ هل بدأت تعتادين على جو الريف؟».

«أحب الريف كثيراً، وأتمنى ان لا تنتهي اجازتي بسرعة» أجابته مبتسمة.

«للأسف، لن يكون لدي متسع من الوقت لأرافق فلورا في نزهاتها» قالت العمة وهي تنظر الى الشاب:

«كما وأنني أصبحت مسنة لا أقوى على مثل هذه النزهات. . . ليتك يا بني تقوم عني بهذه المهمة، لا أريد ان تشعر ابنة أخي بالملل هنا».

فتحت الفتاة فمها وقد أدهشتها صراحة عمتها. لكن الشاب نظر اليها مبتسماً.

«يسعدني ذلك، سيدة لاكونت. واذا لم يكن لديك مانع، لتأتي فلورا الى المشاتل كل صباح لتساعدني ريثما تصل مساعدتي الجديدة من باريس، وهكذا يتسنى لي ان أصطحبها الى الأماكن الأثرية والأطلال والى بُرك السمك ومحمية الطيور وأعيدها الى المنزل قبل المساء».

«لم أكن أعلم ان هناك محمية للطيور في هذه المنطقة»

قالت الفتاة وكأنها لا تصدق.

«بلى، يا عزيزتي، لكنها تبعد ساعتين من هنا. والدولة وضعت يدها عليها وحددت مواعيد لزيارتها وتمنع الصيد في كل هذه المنطقة كي لا تصاب الطيور بالذعر. لكني أعتقد ان مشاتل باسكال للزهور ستعجبك أكثر».

«ما الذي يؤكد لك ذلك؟ فنحن نرى العديد من أنواع الزهور بينما لا نعرف الا القليل عن الطيور؟» سألتها الفتاة بشيء من التحدي.

«هذا صحيح يا آنسة، لكني توصلت بعد جهد كبير الى انبات أزهار لا يمكن ان تنبت في حدائق فرنسا واعتمدت على خيم بلاستيكية وعملت على تطعيم بعض الأزهار التي تحتاج الى الدفء كي تعيش في هذه المنطقة الباردة نسبياً، وأصدر حالياً كميات كبيرة الى بريطانيا ـ الباردة فتعيش الشتلات وتزهر بشكل طبيعي».

تابع الشاب كلامه عن الأزهار ولاحظت الفتاة مدى حبه لمهنته ومدى حماسه لخلق أنواع جديدة منها. وكانت تستمع له بانتباه كلي، لكنها ترتبك كلما التقت نظراتهما.

ثم كلمها عن مدرسة القرية المتوسطة ومشاكل انتقال الطلاب الى عاصمة المحافظة لمتابعة دروسهم كما فعل هو.

«واضطررت بعد ذلك للسفر الى بريطانيا لأدرس الهندسة الزراعية والبيئة».

«لماذا اخترت هذا العمل؟ ألم تُغْرِكَ الحياة في المدينة؟».

بدا الحزن فجأة في عيني الشاب، وأحست الفتاة انه لن يجيب على هذا السؤال. وبالفعل، نهض الشاب وانحنى بلطف أمام السيدة لاكونت.

«أنا آسف، يبدو ان الحديث أخذني ونسيت ان السيدة تنام باكراً» قال بهدوء ثم ألقى عليهما تحية المساء واتجه نحو الباب.

«رافقي باسكال حتى الباب يا عزيزتي» طلبت منها عمتها.

عندما وصلا الى الباب الخارجي، التفت الشاب نحوها ونظر الى عينيها بصمت للحظات.

«سأمر لاصطحابك صباح غد في الساعة الثامنة، أرجو ان تكوني جاهزة» ثم ابتسم ووضع يديه على كتفيها:

«أرأيت انني لم أجد صعوبة من اقناع عمتك؟».

ارتبكت الفتاة وأحست ان يديه تحرقان كتفيها، فأخفضت النظر كي لا تخونها مشاعرها وأحست انه سيقبلها لكنه ترك كتفيها وخرج دون ان يضيف شيئاً.

صعدت الفتاة الى غرفتها وهي لا تشعر بالنعاس، بدلت ملابسها ورمت نفسها على السرير لتتمتع بهذه الوحدة التي كانت تفتقد اليها. فهناك في باريس، لم يكن لها أبداً غرفة خاصة بها كما في هذا المنزل الكبير. لو لم يكن والدها

مبذراً لما أنفق كل أمواله في سن مبكر، ولاستطاعت بناته ان يعشن بشكل أفضل. انهن الآن الوريثات الوحيدات للعمة برناديت، لكن الجميع باستثناء فلورا لا يرغبن بالعيش في الريف، وكثيراً ما يرددن انهن اذا حصلنا على ميراث عمتهن سيبعن كل شيء ويعدن الى المدينة يوم الدفن. ومنذ وفاة زوجها، أصبحت والدتهن تتشاءم من مجرد سماع كلمة الريف.

- ٤ -

تقلبت الفتاة في فراشها طويلاً وهي تتخيل نفسها تستقر في الريف لتشم رائحة التراب كل صباح. وأخيراً بدأ النعاس يداعب جفنيها فتمنت ان ترى حلماً ينبئها بشيء ما عن مستقبلها مع انها كانت عادة عندما تأوي الى الفراش تصلي لربها كي لا ترى أية أحلام. لأنها كانت كلما رأت حلماً تستيقظ مذعورة والعرق البارد يتصبب من جبينها، وتمضي أياماً قلقة تنتظر فيها تحقق رؤياها اذا كانت جيدة وتتمنى عدم تحقيقها اذا كانت سيئة.

غفت الفتاة وكانت قد نسيت نافذة غرفتها مفتوحة، فاستيقظت في الصباح الباكر وهي ترتجف فتلفتت حولها

www.elromancia.com

ولمحت ستائر النافذة تتطاير مع نسيم الصباح. رفعت الغطاء حتى كتفيها وتأملت الغرفة جيداً. انه يومها الأول في الريف بعيداً عن والدتها وشقيقاتها، ومع ذلك، فهي تشعر بشوق اليهن.

حاولت الفتاة بعد دقائق ان تنهض لتقفل النافذة، لكنها شعرت بثقل في قدميها، فتركت نفسها ترتاح قليلاً ثم حاولت من جديد، لكنها أيضاً لم تستطع تحريك قدميها وكأنهما موثقتان. يا الهي! وتذكرت فجأة الحلم الذي تراءى لها هذه الليلة. اذاً لم تكن الفتاة ترتجف من البرد، بل من الخوف.

انها تركض في غابة كثيفة الأشجار والأعشاب، وهناك من يركض خلفها، ولكن ما الذي تحمله بين ذراعيها وتحاول حمايته من الخطر؟ تساءلت وهي تحاول ان تتذكر جيداً، لكن الحلم تبدد ولم تعد تذكر منه الا الغابة الكثيفة والضباب الذي يحيط بها، لكن بين الخطوة والأخرى كانت ترى نوراً يضيء للحظة ثم يختفي في البعيد.

حركت قدميها هذه المرة دون ان تشعر وكأنها انسجمت مع الحلم لتركض بسرعة أكبر، عندئذ لاحظت ان باستطاعتها تحريك قدميها وكأن وثاقهما قد فك.

نهضت وأقفلت النافذة ثم دخلت الحمام وغسلت وجهها جيداً وعندما رفعته، شاهدت صورتها في المرآة. ان وجهها يبدو شاحباً وحول عينيها أثار بكاء وكأنها قضت

ليلتها كلها تبكي.

الأفضل لها ان تخرج من هذه الغرفة علها تتخلص من تأثير الحلم. فنزلت الى الأسفل لتشرب كوباً من الماء، فالتقت عمتها تخرج من غرفة نومها.

«فلورا، لم أكن أتوقع ان تستيقظي باكراً» قالت لها عمتها وهي تقبلها.

«ولكن ما الذي أيقظك انت باكراً؟».

«أنا معتادة على ذلك، أستيقظ كل يوم باكراً وأقوم بجولة في الحديقة. أجد سعادة كبيرة وأنا أراقب عودة الحياة الى القرية بعد ظلام الليل».

«اذاً، سأرافقك هذا الصباح بجولتك».

«ليس قبل ان نشرب القهوة».

سبقتها فلورا الى المطبخ وأعدت القهوة بنفسها لأن الخادمة لم تكن قد استيقظت بعد. قدمت لعمتها فنجاناً وجلست بجانبها حول طاولة المطبخ.

يبدو انك لم تنامين جيداً هذه الليلة، فلورا».

«لماذا؟».

«لأن عينيك محاطتان بهالة رمادية... فلورا... أحقاً لم تعد تراودك تلك الأحلام؟».

«لم أعد أرى اي نوع من الأحلام» أجابتها الفتاة وقد عادت اليها صورتها وهي تركض في الغابة. يا الهي! ان ما تحمله كان طفلاً. وشحب وجهها على الفور.

«ما بك؟» سألتها عمتها بقلق.

«لا شيء. . . لا شيء» أجابتها الفتاة بشرود.

«اذا كنت تشعرين بالتعب، اعتذري من باسكال ولا تغادري المنزل» نصحتها عمتها.

«أنا بخير، والخروج سيفيدني».

بعد ان شربتا القهوة تنزهتا معاً في الحديقة، ولكن الفتاة لم تستطع ان تنسى حلمها كما وأنها لم تستطع ان تتذكر كل ما حصل فيه.

في الساعة الثامنة تماماً، سمعت فلورا منبه سيارة باسكال، فأطلت من نافذة غرفتها وهي تسرح شعرها، وعندما رأته أشارت له بيدها.

«هيا، ألن تنزلي؟» قال لها بمرح.

«دقيقة واحدة وأنزل» ورمت الفرشاة على السرير ونزلت الدرج بسرعة، فالتقت بعمتها في الصالون.

«الى اللقاء، عمتي».

«انتظري، انتظري قليلاً» قالت لها عمتها ضاحكة.

«قد لا أكون في المنزل وقت الغداء، لكن الخادمة باتي ستعد لك الغداء».

«لا تقلقي، أنا لم أعد صغيرة».

«تمتعي بوقتك جيداً».

كان باسكال ينتظرها أمام سيارته وحاول مساعدتها بالصعود لكن الفتاة تسلقت السيارة وحدها بحيوية، فرمقها

الشاب بطرف عينه ودار حول السيارة ليجلس خلف المقود.

«صباح الخير، هل نمت جيداً؟».

فجأة اختفت ابتسامتها وتبدد اشراق وجهها.

«ألم تنامين؟» سألها بدهشة وتجمدت يده على مفتاح التشغيل.

«بلى، بلى، نمت جيداً. هيا بنا» قالت متظاهرة بالمرح.

«ولكن لماذا شحب لونك فجأة؟».

«لا شيء، لا شيء، لننطلق».

أدار الشاب محرك السيارة وانطلق بسرعة وشغل الراديو.

«أتحب سماع الموسيقى؟».

«نعم، ولكني الآن أريد ان أستمع الى نشرة الأخبار الصباحية».

بعد لحظات علا صوت المذيع يذيع الأخبار السياسية.

«أتمنى ان تكوني مستعدة اليوم للعمل، قبل الظهر لن تعرفي الراحة. . .» قال مبتسماً.

«وهل تعتقد انني أعرف كيف أستعمل الرفش والمنكاش؟» سألته ممازحة.

«ومن قال لك انك ستعملين بالزراعة؟ كل ما أريده منك ان تهتمي بغرفة مكتبي، هناك أشياء كثيرة مبعثرة، وأنا أعد بحثاً عن أزهار المناطق الباردة ولكن. . .» صمت فجأة

ورفع صوت المذياع وأشار اليها بالسكوت.

«... أما بالنسبة لحالة الطقس، فهي مستقرة حتى مساء اليوم، وغداً سيتساقط المطر بغزارة وقد يستمر عدة أيام بدون انقطاع...».

«سنتخذ احتياطاتنا مع انني لا أؤمن بالتنبؤات» قال الشاب وبدل موجة الراديو.

- ٥ -

أحست الفتاة وكأنها تلقت صفعة قوية، والتزمت الصمت طوال الوقت، حتى وصولهما الى خيم المشاتل الممتدة على سفح تلة كبيرة في آخر القرية.

«كل هذه المساحة من الأراضي لك؟» سألته الفتاة بدهشة عندما نزلا من السيارة.

«انها لوالدي ولي من بعده. فأنا وريثه الوحيد. في هذه المشاتل يعمل عشرون مزارعاً. بعد شهرين، سأشترك في مباراة لاختيار أجمل شتلة لهذا العام. انها تقام منذ ثلاثة أعوام في لندن».

استقبلهما أمام المبنى المؤلف من طابقين واسعين

www.elromancia.com

موظف متوسط في السن.

«سيدي، هل سمعت نشرة الأخبار».

«نعم، سمعت ان المطر سيتساقط بغزارة لبضعة أيام».

«لقد أسرع كل المزارعين الى المشاتل ليقفلوا النوافذ البلاستيكية».

«لا ضرورة لذلك، ليقفلوا فقط النوافذ التي في السقوف وليبقوا على النوافذ الجانبية».

«ولكن. . .» تدخلت الفتاة:

«أعتقد ان المزارعين على حق، واذا لم تمطر السماء فأنت لن تخسر شيئاً».

«أرجوك، آنسة فلورا، هذه الفترة مهمة جداً بالنسبة للأزهار، فإذا خنق الهواء عنها، تذبل وتموت».

«وكذلك اذا غرقت بالمياه، أليس كذلك؟».

«انصرف، دايفيد» أمر باسكال الرجل بحدة ثم التفت نحو الفتاة.

«أرجوك، لا تجادليني مرة ثانية أمام العمال. لقد بذلت جهداً كبيراً لأعودهم على النظام بعد ان كان والدي قد أفسدهم بتسامحه. والآن، تفضلي، هذه غرفة مكتبي. أريد منك ان تنظري الى كل هذه الأوراق وترتبي كل ما هو مبعثر منها في هذه الملفات».

نظرت الفتاة حولها بذهول. أيمكن ان يكون هذا المكتب مكتب رجل مثقف ومتعلم؟ كيف يمكنه ان يكون

بهذا الاهمال؟ وكيف يتمكن من الحصول على هذه الأوراق اذا أراد.

«أعلم ان المكتب بحالة يرثى، لها، لكنه أفضل بكثير من مكتبي الذي في منزلي» قال الشاب ضاحكاً عندما لاحظ دهشتها.

«يبدو انك نسيت انني جئت الى الريف لقضاء اجازة».

«من يدري؟ قد تمددين اقامتك هنا» قال بثقة كبيرة ثم غادر المكتب وتركها بين هذه التلال من الأوراق والكتب.

يا الهي، انه بحاجة لثلاث سكرتيرات لتنظمن أعماله، قالت الفتاة وهي تدور حول نفسها لا تعلم من أين تبدأ.

لهذا السبب اذاً كان لطيفاً معها عندما دعاها لشرب الشاي في مقهى المحطة وكلف نفسه عناء مرافقتها حتى المنزل، ولم ينس موعده معها هذا الصباح. انه بالتأكيد لا يختلف عن كل الناس، فهم يتقربون من المرء اذا كانوا بحاجة اليه ثم ينسونه عندما تنتهي حاجتهم اليه.

على كل حال، ليس لدي شيء آخر أقوم به، فلأتسلى بهذا العمل، وعندما أشعر بالتعب، سأطلب منه ان يرافقني الى المنزل، قالت لنفسها وهي تدفع كل ما هو مكدس على الطاولة.

بعد نصف ساعة، دخل دايفيد الذي كان قد استقبلهما في الخارج، وكان يحمل صينية عليها فنجان قهوة وكوب ماء.

«تفضلي، آنسة...».

«فلورا دي مارتين، شكراً. ولكن...».

«انها أوامر السيد باسكال، اذا أردت أي شيء آخر نادني أو اقرعي الجرس الذي الى جانبك... نعم، هذا».

خرج دايفيد، فعادت الفتاة الى عملها، وبينما كانت تقلب بعض الأوراق، وقع شيء منها على الأرض، فانحنت لتلتقطه فإذا هي صورة لطفل صغير يبدو في الثالثة أو الرابعة من عمره، تحمله سيدة لكنها لا تظهر في الصورة، لا يظهر منها الا يدها وهي تضع في يدها اليسرى خاتماً تشع منه قطعة صغيرة من الماس. لا بد انها والدة الطفل. قالت الفتاة وهي تتأمل عيني الطفل. ولكن من هو؟ لا يمكن ان تكون الصورة لباسكال عندما كان طفلاً، مع ان الصورة تشبهه، لكنها تبدو قد التقطت للصبي حديثاً.

وضعت الصورة جانباً وعادت ترتب الأوراق، لكنها بين الفينة والفينة كانت تجد نفسها تنظر دون ارادة منها الى الصورة، وأخيراً، قلبت الصورة كي لا تراها وتابعت عملها.

لم تشعر الفتاة بمرور الوقت الا عندما عاد باسكال بعد ساعتين وكان أول ما لفت نظره رفوف المكتبة النظيفة.

«ما هذا، فلورا، لماذا أفرغت محتويات الرفوف».

«أفرغتها لأضع فيها الملفات، لا ضرورة لتكديسها على الكنبات وعلى الأرض».

«انت محقة، ولكنني لا أريدك ان تتعبي، اذا أردت نقل أي شيء، اطلبي من دايفيد ان يحمله، فالكتب والأوراق تكون ثقيلة الوزن».

«أعلم، ولكني أعمل بهدوء ولا أتعب نفسي...».

«دعي كل شيء وارتاحي، أعتقد ان ما قمت به كان كافياً لهذا اليوم، ومن حقك ان تتمتعي بإجازتك سأصطحبك اليوم الى محمية الطيور».

«ولكنك قلت انها بعيدة».

«هذه فرصة تتعرفين من خلالها على المنطقة».

بعد دقائق كانا يسلكان الطريق الشرقي وسيارة باسكال تلتهم الكيلومترات كالنمر القوي. كانت الفتاة جالسة على مقعدها بجانبه تتأمل المناظر المتلاحقة من خلال النافذة لأن باسكال كان يقفل سقف الجيب هذا اليوم.

«انها منطقة سياحية رائعة، يقصدونها من كل أنحاء أوروبا وخاصة في فصل الصيف عندما يحين موعد تكاثر الطيور، فيشترون عدداً كبيراً منها» قال لها الشاب بعد ان قطعا نصف المسافة:

أترغبين بشرب كأس قبل ان نصل الى المحمية».

عقدت الفتاة حاجبيها، ولم تكن ترغب بأن تتأخر خارج المنزل هذا اليوم.

«لا، أفضل ان نزور المحمية ونعود فوراً الى المنزل، أعتقد ان المطر سيبدأ بالتساقط قبل حلول المساء» قالت له بحزم عندما أوقف سيارته بجانب أحد المقاهي التي تكثر في هذه المنطقة.

«يبدو انك متشائمة».

«لا، لكنني سمعت النشرة كما سمعتها انت».

«لا تنخدعي بهذه الغيوم، فالطقس دائماً هكذا هنا». قال ضاحكاً وزاد من سرعة سيارته. وعندما وصلا الى المحمية، اضطرت الفتاة للصراخ وهي تتكلم مع باسكال حتى يسمعها، لأن زقزقة العصافير تملأ الجو.

- ٦ -

«يا الهي، انها أشبه بقفير النحل».

«الا انها لا تعطي عسلاً» أجابها الشاب ضاحكاً أمام دهشتها. ثم أشار الى الأعشاش المزروعة بين أغصان الأشجار:

«انظري، انها بارعة جداً في فن الهندسة».

ضحكت الفتاة بدورها وتركته يتأبط ذراعها ويقودها بين الأشجار.

«أشعر بأنني سأفقد القدرة على السمع».

«ستعتادين على صراخ الطيور، بعد دقائق قليلة فقط».

«ولكن من يهتم بإطعامها؟».

www.elromancia.com

«انهم يزرعون هنا الأشجار والنباتات الخاصة بمثل هذه الأنواع من الطيور. ولكنهم لا يطعمونها، فهي تبحث عن غذائها بنفسها وتطعم صغارها. هيا بنا الى الداخل لنرى كيفية العناية بالفراخ الصغيرة وبالطيور المريضة».

وأمسك يدها جيداً كي لا تتعثر قدمها حتى وصلا الى بناء مربع الشكل يحيط به سور تصطف فوقه مئات الطيور المتعددة الأنواع والألوان.

في الداخل، كان هناك رجلان يشربان الشاي فدعاهما أحدهما لمشاركتهما الشاي. وبعد جولة قصيرة على المكان، اشترى باسكال قفصاً من القصب الملون بداخله زوج من العصافير الملونة الريش وقدمه هدية للفتاة. فشكرته ووعدته ان تهتم بهما الى ان يتكاثرا.

«ولكن عديني أنه اذا تكاثرا لن تبعدي فراخهما عنهما» طلب منها باسكال وهو يضمها اليه فجأة قبل ان يصعد الى سيارته.

ارتبكت الفتاة بين ذراعيه وأحست بالحزن من خلال كلماته.

«لماذا انت حزين، باسكال؟».

«لأنني والد لطفل حرمتني منه والدته...» ثم وضع القفص باهتمام على المقعد الخلفي وصعد الى السيارة.

تفاجأت الفتاة عند سماعها ذلك وتذكرت على الفور الصورة التي وجدتها بين أوراقه.

«أهو صاحب الصورة التي كانت في مكتبك؟» سألته وهي ترفع زجاج النافذة لأن الهواء أصبح بارداً.

«الصورة؟ هل وجدتها؟ أين هي؟» سألها بلهفة.

«وضعتها جانباً، كنت قد فقدتها؟».

«نعم، منذ شهر لم أرها».

«وكيف كنت ستراها بين كل هذه الفوضى؟ أتمنى ان لا تكون هذه الفوضى هي التي تسببت بانفصالك عن زوجتك!».

ظل الشاب صامتاً حتى غادر الطريق الفرعي ليسلك الطريق العام.

«لم أكن فوضوياً أبداً في حياتي، لكن زوجتي قلبت حياتي رأساً على عقب. وكي أتمكن من نسيان تجربتي المؤلمة معها، كرست كل وقتي لعملي منذ عودتي الى البلدة. كانت لدي سكرتيرة تهتم بمكتبي لكنها تزوجت مؤخراً وسافرت مع زوجها الى أفريقيا. وأثناء زيارتي الأخيرة لباريس، التقيت بفتاة جامعية في مكتب أحد أصدقائي ووعدتني انها مستعدة للعمل معي وأنها ستصل بالأمس، وكما تعلمين، تخلفت عن الموعد. سأتصل بصديقي غداً وأسأله عنها مع انك تبدين مناسبة جداً لهذا العمل... لو انك تبقين!».

نظرت الفتاة اليه وأحست بالأسف لأجله فرأته ينظر مباشرة الى الطريق أمامه ويداه تمسكان المقود جيداً.

راقبت هاتين اليدين القويتين وتساءلت كيف يمكن لامرأة ان تسبب لمثل هذا الرجل كل هذا الألم. ولكن قد يكون ألمه نابعاً فقط من فقدانه لطفله. فكرت الفتاة وهي تشعر بانقباض في قلبها وبالغيرة من تلك المرأة التي ربما لا تزال تحتل قلبه.

ولكن لماذا هذا الشعور؟ ما علاقتها هي بمشكلته العائلية، كل ما كانت تفكر به حتى الآن، مساعدته في مكتبه ريثما تصل سكرتيرته الجديدة، والتمتع معه بزيارة المنطقة واستكشاف جمالها كي تنسى همومها الشخصية. وتساءلت الفتاة فجأة وهي تراقب يده تتنقل من المقود الى مقبض ناقل السرعة عن التبدل السريع الذي طرأ على شخصيتها. فهي منذ الأمس فقط لم تعد تشعر بالتوتر الذي كان يسيطر عليها دائماً. كما وأنها مع الشعور بالحرية زادت ثقتها بنفسها ولم تعد تلك الفتاة التي تتجنب الناس وتخشى الغرباء منهم. بات لديها شعور بالانفتاح استمدته من اتساع وامتداد المناظر الطبيعية المحيطة بها أينما ذهبت.

«نعم... عفواً...» قالت متعلثمة وقد انتفضت فجأة.

«بماذا كنت تفكرين، انها المرة الثالثة التي أناديك فيها» قال وهو يوقف الجيب الى جانب الطريق.

«كنت شاردة فقط، ماذا كنت تقول».

«كنت أسألك اذا كان بإمكانك البقاء، أريد ان أعرف

قبل ان أتصل بصديقي».

«لا، أستطيع، فأنا أحلم بمتابعة تعليمي، ولا يزال أمامي ثلاث سنوات لأحصل على اجازة في علم الآثار، كما وأن والدتي امرأة صعبة، لن تقبل فكرة ان تستقل احدى بناتها بحياتها قبل انتقالها الى منزل الزوجية».

«حقاً تدرسين الآثار؟ اذاً ستجدين في هذه المنطقة ما يثير اهتمامك، تنتشر فيها القلاع القديمة وأطلال القصور. انت تعلمين اننا قريبون من الحدود الشمالية الشرقية التي كانت مسرحاً لبعض الأحداث التاريخية».

«أيمكنك اصطحابي لزيارتها ذات يوم؟» سألته بتردد.

«يسعدني ذلك، وأتمنى ان يسمح لي الوقت، فكما تلاحظين، العمل يتطلب وجودي كل يوم بين المشاتل ويبدو ان هذا البحث الذي أعده لوكالة التنمية الزراعية لن ينتهي بالوقت المحدد».

«سأبذل جهدي لمساعدتك قدر الامكان».

«فلورا، لست أدري حقيقة مشاعري، لكنني أحس وكأن الله أرسلك خصيصاً من أجلي» وأمسك يدها ونظر مباشرة الى عينيها.

لم تستطع الفتاة تحمل دفء نظراته فأخفضت نظرها وانتظرت ان يضمها من جديد بين ذراعيه، لكنه لم يفعل وظل يحدق بها وهي تحس بنظراته تخترق قلبها.

«الأفضل ان توصلني الى المنزل، عمتي...».

«ألا تريدين ان تتعرفي الى والدي؟ انه رجل لطيف سيرحب بك بالتأكيد».

«ولكن. . .» ورفعت نظرها نحوه فابتسم وداعب خدها بيده.

«عمتك لن تكون في المنزل في مثل هذا الوقت، لتتناول الغداء في منزلي وبعدها أعيدك الى عمتك، سنتصل بها في المصنع».

- ٧ -

قبلت الفتاة دعوته لأنها لم تكن تشعر بأي خوف أو حرج معه. ولكن ما ان دخلا الى منزله حتى انتابها شعور غريب ليس هو بالخوف ولا بالسرور بل هو نوع من الشعور التحذيري الذي تعرفه تماماً.

منزل آل فرنون يقع عند أسفل الوادي بعيداً عن منازل القرية، لكنه بناء قديم عاشت فيه خمسة أجيال من عائلة فرنون، مؤلف من طابقين واسعين لكن لا أثر فيه للحياة.

بعد ان تعرفت على السيد فرناند فرنون، قامت مع باسكال بجولة على المنزل ولفتت نظرها دراجة بثلاثة دواليب لا تزال مغلفة بالنايلون موضوعة في زاوية الممر

www.elromancia.com

الذي بين غرف النوم.

لكن ما ان دخلت الى المطبخ حتى سمعت طنيناً قوياً يكاد يصم أذنيها، فرفعت يديها لتسد أذنيها والتفتت نحو باسكال لترى ردة فعله فرأته هادئاً، يبدو انه لا يسمع نفس الطنين مع أنها تشعر بأن جدران المنزل القديم هذا ستتدمر من قوة الصوت.

«يا الهي!» صرخت بقوة وأسندت رأسها الى الباب.

«فلورا، ما بك».

لم تتمكن الفتاة من الاجابة، وظلت تضغط بيديها على أذنيها.

حاول باسكال ان ينزل يديها لكن أعصابها كانت مشدودة فدفعته عنها بقوة غريبة. ولكن ما ان ابتعد عنها حتى عاد الصمت واختفى الطنين، فرمت نفسها على الكرسي وركضت الخادمة التي كانت تعد الطعام نحوها.

«فلورا، ما بك؟» سألها باسكال بقلق شديد.

«تفضلي كوب الماء، آنستي» قالت الخادمة وهي تناولها الكوب.

أخذه باسكال من يدها وقربه من شفتي الفتاة. شربت فلورا الكوب حتى آخر نقطة فيه ونظرت نحو الشاب.

«أنا آسفة، باسكال، لكنه الطنين الذي كاد يصم أذني...».

«أهذه أول مرة تشعرين بهذا الطنين».

ترددت الفتاة قليلاً، ثم هزت رأسها بالنفي، فهذه أول مرة بالفعل يحصل معها مثل هذا الشيء. ارتبكت وقد أدركت ان لهذا الشيء علاقة بباسكال وبإبنه وبالحلم الذي راودها ليلاً. لكنها لم تجرؤ على البوح بما تفكر به كي لا يعتبرها باسكال مجنونة وتفقد صداقته.

«أشعر بالراحة الآن».

«لكن وجهك لا يزال شاحباً، سنتناول الغداء ثم أصطحبك الى عيادة طبيب في القرية المجاورة، انه متخصص بالأنف والأذن والحنجرة، قد تكون أذناك ملتهبتين».

«لا ضرورة لذلك، سأفعل اذا تكرر الأمر» قالت له الفتاة لأنها متأكدة ان الطنين لا علاقة له بمرض عضوي، لكنه تحذير وإشارة الى شيء تجهله.

تناولا الغداء اللذيذ الذي أعدته الخادمة، واستطاع والد باسكال بمرحه ان يضحكها. لكن الفتاة كانت تلاحظ طوال الوقت ان باسكال ينظر اليها وكأنه غير مقتنع بسلامة أذنيها. وأثناء تناول الحلوى، أحست الفتاة بيده تداعب ركبتها من تحت الطاولة، فارتبكت وخافت ان يراهما والده. لكن الشاب ابتسم بمكر، فأنزلت يدها لتبعد يده لكنه حبس يدها وتابع حديثه مع والده دون ان يهتم لمحاولتها التخلص منه.

«باسكال، أيمكنك ان تعيدني الى المنزل؟».

«الآن؟» سألها السيد فرناند بدهشة:

«لا يزال الوقت باكراً».

«ألا تريدين ان نشرب القهوة؟» سألها باسكال وحرر يدها.

«لا، شكراً» ونهضت على الفور.

«أتمنى ان أراك كل يوم هنا يا عزيزتي» قال والده وهو ينظر اليها بمودة.

تقدمت نحو الباب وتبعها باسكال بعد ان وعد والده انه لن يتأخر.

«فلورا، لماذا تركضين؟» سألها ممازحاً عندما انضم اليها أمام السيارة.

«لأنك... لأنك...» قالت متلعثمة.

فتح لها باب السيارة وصعد ليجلس خلف المقود.

«انت تدهشيني، فلورا، ألم يسبق لك ان خرجت مع أحدهم؟».

«بلى، خرجت كثيراً مع أصدقاء، لكن عندما يحاول أحدهم ان يسيء الى مفهوم الصداقة، أقطع علاقتي معه على الفور».

«ألا يمكن لي ان آمل بـ...».

«باسكال، انت رجل متزوج و...».

أوقف السيارة بعيداً عن المنزل والتفت نحوها.

«لكنني على وشك الطلاق، قريباً سأعود حراً. منذ ان

اختفت ساندرا مع طفلي وأنا أعتبر نفسي حراً».

«ألا تعرف أين تقيم؟».

«لا، آخر مرة أرسلت لي صوراً للطفل منذ أربعة أشهر، لكنني لم أجد العنوان الموجود على الرسالة أي أثر. لا تزال عنيدة ترفض ان تترك لي أي خيط أسير وراءه».

«وكيف تعيل ابنها؟».

«لست أدري، لا بد انها تعمل؟».

«أليس لديها أهل أو أصدقاء؟».

«سألت كل أصدقائها فلم أحصل على نتيجة. أما بالنسبة لوالديها فهما متوفيان ولا أعرف أقارب لها».

ظلت الفتاة صامتة تتأمل قطرات المطر التي بدأت تنهمر.

«فلورا...».

«نعم!».

«لماذا أراك شاردة؟».

«لا شيء» ورفعت يديها الى أذنيها.

«هل عاد الطنين؟» سألها بقلق.

«لا».

«أشعر انك تخفين شيئاً» ورفع خصلة شعر عن وجهها.

أحست الفتاة بأصابعه تحرق خدها فالتفتت نحوه ونظرت الى عينيه طويلاً.

«ماذا؟» سألها مبتسماً:

«أتحاولين قراءة أفكاري؟».

لم تجبه وظلت تتأمله.

«اذا فهمت بماذا أفكر، تكونين قد وفرت علي ان أشرح لك عن أحاسيسي نحوك».

«باسكال... أعتقد انك ستواجه قريباً مشاكل كبيرة؟».

«هاي، هاي... قلت لك اقرأي أفكاري لا مستقبلي» قال ضاحكاً بمرح.

- ٨ -

لكن الفتاة أدارت وجهها وقد تذكرت وعدها لوالدتها بأن لا تحدث أحداً عن أحلامها.

«فلورا، انظري الي وأخبريني ماذا تقرأين في عيني» قال وهو يجبرها على النظر اليه لكن لهجته ظلت ساخرة:

«ما هي طبيعة هذه المشاكل؟».

«انها لا تتعلق بعملك، لكنها تتعلق بحياتك العائلية».

«انت محقة، فأنا أشعر ان حياتي كلها ستتبدل، انتابني هذا الشعور منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها».

«الأمر لا يتعلق بي أنا».

وبدأ المطر ينهمر بغزارة.

www.elromancia.com

«الأفضل ان أوصلك وأعود قبل ان تكثر السيول» قال ضاحكاً وخطف قبلة سريعة من خدها وانطلق بسيارته.

انه لا يأخذ كلامها على محمل الجد فكيف يمكنها تحذيره؟ تساءلت الفتاة وهي تنظر اليه بطرف عينها.

«اذا توقف المطر، سأمر لاصطحابك صباح غد. أتمنى لك ليلة هادئة».

أسرعت الفتاة الى الداخل وكانت قد تبللت كل ملابسها مع انها قطعت مسافة ثلاثة أمتار فقط من السيارة حتى باب المنزل. كانت عمتها تشرب الشاي في الصالون فطلبت منها ان تبدل ملابسها قبل ان تصاب بالبرد.

صعدت فلورا الى غرفتها فبدلت ملابسها ونشفت شعرها وهي تفكر بلمسات باسكال وبكلماته. لكنها شعرت بانقباض في قلبها عندما تذكرت ان خطراً ما يتهدده. يا الهي! ماذا تفعل لأجله؟ انها تحبه، وإلا لماذا ترتاح برفقته وتخاف عليه كل هذا الخوف؟.

«اجلسي يا عزيزتي» طلبت منها عمتها عندما انضمت اليها في الصالون.

«لقد عدت باكراً خوفاً من ان تسوء حالة الطقس. وفور عودتي تلقيت اتصالاً من والدتك، كانت تبدو قلقة عليك...».

«هل قالت بأنها ستتصل مرة ثانية؟».

«ستتصل مساء غد. أخبرتها انك تساعدين باسكال في

مكتبه...» ثم صمتت العمة قليلاً تتأملها:

«فلورا، لماذا أخفيت عني انك لا تزالين ترين بعض الأحلام والرؤى؟».

«انها مجرد أحلام، يا عمتي» وأخفضت الفتاة رأسها.

«لكن والدتك قالت بأن هذه الأحلام تسبب لك مشاكل مع الجميع. هل رأيت حلماً مزعجاً ليلة أمس؟ كان وجهك شاحباً في الصباح».

«رأيت حلماً لا أذكره جيداً، لكنني أعتقد انه مجرد حلم لا أهمية له».

«انت فتاة لطيفة ومتزنة، فلورا، فلا تدعي الأحلام تفسد حياتك وتقف في طريق مستقبلك، انت لم تعودي فتاة صغيرة».

نعم، لم أعد فتاة صغيرة، حدثت الفتاة نفسها عندما أوت الى فراشها. لقد بدأ الحب يحرك مشاعرها والحنين يملأ قلبها.

باسكال وحده الذي تمكن من احتلال قلبها، ولكن هل يبادلها مشاعرها؟ لقد لمح بشيء من ذلك، ولاحظت وميض الحب في نظراته والحنان في لمساته، لكن كل هذا لا يؤكد انه يحبها. فهو رجل متزوج منفصل عن زوجته ويبحث عن التسلية مع أية فتاة يقابلها، انه جميل جذاب ومتحدث لبق وأنيق، فلماذا يمنع نفسه من الحب؟ لا بد ان لديه الكثير من المعجبات المستعدات لتلبية ندائه عند

أول اشارة. فهل يعقل ان يقع في حب فتاة صغيرة لم تكمل العشرين من عمرها ولم يكن لها أية علاقة غرامية من قبل؟.

لا، باسكال ليس من هذا النوع. ان أحب سيحب امرأة بالغة تستطيع ان تمنحه الحب واللذة.

لم يتوقف المطر عن التساقط طوال الليل، وكانت الفتاة تسمع تساقطه على زجاج النافذة فلم تتمكن من النوم حتى انتصف الليل.

في الصباح، نهضت من سريرها واقتربت من النافذة. لقد توقف المطر لكن السيول تتدفق كالأنهار في الشارع ومن بين الجلول والجدران الصخرية.

بدلت ملابسها ونزلت وهي متأكدة ان باسكال لن يأتي لاصطحابها وتأكدت أكثر عندما رأت الخادمة تعد الفطور لعمتها التي تجلس في المطبخ.

«صباح الخير» وجلست الفتاة بجانب عمتها.

«صباح الخير، يا ابنتي، هل نمت جيداً؟».

«للحقيقة كان صوت المطر مزعجاً...».

«أتمنى ان لا يعود للتساقط من جديد» قالت الخادمة:

«لقد رأيت سيد جوردان جارنا يتجه الى البلدة باكراً، قال بأن المطر تسبب بانهيارات عديدة وقد سقطت بعض الأشجار وقطعت بعض الطرقات الفرعية».

انقبض قلب الفتاة التي كانت تأمل برؤية باسكال اليوم

أيضاً.

وظلت تنتظره حتى بدأ اليأس يجتاحها.

في الساعة التاسعة والربع انتفضت الفتاة عندما سمعت صوت منبه سيارته وركضت نحو الباب.

«باسكال».

«هاي، فلورا، هل انت جاهزة؟».

«نعم» ودخلت بسرعة لتحضر حقيبة يدها. لكن عمتها نصحتها بعدم الخروج الا انها لبت نداء قلبها وذهبت مع باسكال.

«اوه، تبدو كالجندي المتوجه الى المعركة» قالت له ضاحكة عندما رأته يرتدي بدلة كاكية وجاكيت سميكة مع قبعة جلدية.

«انت تعلمين ان عملي يتطلب مني ان أتنقل بين البساتين والمشاتل، لست مديراً يجلس خلف مكتبه طوال النهار».

«لماذا تأخرت؟ اعتقدت انك لن تأتي».

«طلب مني والدي ان أوصله الى البلدة ليقضي النهار مع أصدقائه المسنين مثله، انه يكره البقاء وحده في مثل هذا الطقس المعتم، سيتسلى معهم بلعب الورق» وأمسك يدها بحنان وداعب أصابعها برقة.

«سمعت ان هناك بعض الانهيارات» قالت محاولة ان تخفي ارتباكها.

«نعم، في أول البلدة وفي بعض الطرقات الفرعية، حتى ان خطوط الهاتف قطعت. . .» وصمت للحظات ثم نظر اليها نظرة غريبة.

«فلورا، يبدو انك تجيدين حقاً قراءة المستقبل».

أحست الفتاة بقلبها ينتفض بين ضلوعها.

«ماذا هنالك، باسكال؟».

«أحقاً لا تعلمين؟» سألها بشيء من السخرية وأوقف السيارة الى جانب باب مكتبه حتى تتمكن الفتاة من الوصول الى الباب دون ان تدوس بالوحول.

- ٩ -

بعد لحظات انضم باسكال اليها بعد ان أوقف سيارته جانباً وأمر دايفيد ان يعد لهما الشاي وانتظر الى ان غادر الرجل مكتبه وأغلق الباب خلفه.

«ألن تزور المشاتل؟».

«قمت بذلك قبل ان أمر لاصطحابك. أردت ان يكون لدي متسع من الوقت للكلام معك».

اقتربت الفتاة من النافذة عندما سمعت صوت المطر يتساقط فجأة بغزارة.

«ماذا هنالك، فلورا؟» ألح بالسؤال وهو يضع يديه على كتفيها.

www.elromancia.com

«ماذا تقصد، باسكال؟».

«ما هي المشكلة التي ستواجهني؟».

«ولماذا تبدو مهتماً اليوم بكلامي بينما كنت تسخر مني بالأمس؟».

«لأنني تلقيت اتصالاً مساء أمس من زوجتي، لكن الخط انقطع قبل ان أفهم سبب اتصالها، ولا تزال الخطوط مقطوعة حتى الآن ولا أعتقد انه سيتم اصلاحها قبل ان يتحسن الطقس. ما ان سمعت صوتها ولاحظت اضطرابها حتى تذكرت تحذيرك. اني قلق جداً على مايك، أخشى ان يكون قد تعرض لسوء ما...».

استدارت الفتاة نحوه فلاحظت مدى قلقه على ابنه.

«باسكال...» ورمت نفسها بين ذراعيه، فضمها الى صدره.

«فلورا، أخبريني بكل ما تعرفينه أو تشعرين به».

«ألم تعرف من أين تتصل؟».

«لا، لكنها سألتني اذا كان بإمكانها المجيء».

«هذا يعني انها تفكر بالعودة اليك» قالت الفتاة وابتعدت عنه كأن حاجزاً سُدَّ فجأة بينهما.

«لست أدري بماذا تفكر، ولكني شعرت بأنها مضطربة، فسألتها عن مايك فقالت انه بخير، لكن لهجتها كانت تدل على شيء يشبه الخوف أو الحزن...».

«أتعتقد انها ستتصل بك مرة ثانية؟».

«فلورا، كيف تتصل والخطوط مقطوعة. اوه» وجلس على الكنبة وأمسك رأسه بين يديه:

«ليتني أعرف مكانها».

مسكين باسكال، لو يعرف مكانها لذهب اليها على الفور مع انها رحلت عنه وحرمته من رؤية ابنه.

فتحت الفتاة الباب وأخذت صينية الشاي من دايفيد وشكرته وعادت لتجلس بجانب باسكال.

سكبت الشاي وقدمت له كوباً.

«اشرب الشاي، باسكال، هذا سيفيدك، وكلمني قليلاً عن زوجتك وابنك».

رفع باسكال رأسه وتناول كوب الشاي من يدها.

«ما الذي جعلك تتنبئين لي بمشكلة عائلية؟».

«لدي حاسة سادسة وهي قوية جداً، أشعر أحياناً بأن هناك أحداث ستحصل وغالباً ما تتحقق بعد عدة أيام».

«كيف تنتابك هذه المشاعر؟».

«أحياناً على شكل أحلام وأنا نائمة وأحياناً بشكل تخيلات أو نداءات باطنية».

«وبالنسبة لمشكلتي أنا، قرأت ذلك في عيني؟» كان يسألها باهتمام ولا أثر للسخرية في نظراته.

«للحقيقة، رأيت حلماً غريباً ليلة وصولي لكنني لم أفهمه ولا أذكر كل شيء مر خلاله. لكنني في اليوم التالي عندما رأيت صورة ابنك في المكتب لم أستطع رفع نظري

عنها. ثم رأيت الدراجة التي في الممر في منزلك...».

«اشتريتها على أمل ان يعود مايك ذات يوم ليلعب بها».

قال باسكال بحزن عميق.

«وعلى الفور انتابني ذلك الطنين... لم أتمكن من تمييزه لكنه كان شبيهاً برنين هاتف...».

«ما هو الحلم الذي رأيته ليلة وصولك؟».

«للحقيقة، لا أذكره جيداً، لكن كان هناك غابة وأشخاص يتبعونني وسط الضباب ونور يضيء ويختفي من بعيد».

«وما علاقة هذا الحلم بي وبعائلتي».

«عندما كنت أهرب في الغابة كنت أحمل طفلاً بين ذراعي، وهذا الطفل يشبه ابنك مايك كما يبدو من صورته».

«بالمناسبة، أين هي الصورة؟».

نهضت الفتاة وأحضرت له الصورة التي كانت لا تزال على المكتب.

«أهذا هو نفس الطفل؟».

«تقريباً... لست أدري تماماً».

«اني قلق جداً على الصغير، أرجوك، فلورا، انت الشخص الوحيد القادر على مساعدتي حالياً، حاولي ان تتذكري سبب هربك مع الصغير... ليس باستطاعتي ان أقوم بأي عمل من أجله طالما انني لا أعرف مكانهما.

أشعر بالعجز التام».

«لننتظر ريثما يتوقف المطر عن التساقط، ربما زوجتك في طريقها اليك، قد يكون للحلم تفسير آخر...».

«تقصدين انه قد لا يكون نذيراً بوقوع مشكلة؟» سألها على أمل ان يسمع تأكيداً منها.

«لست أدري، قد يكون اشارة الى عودة زوجتك وللإتفاق بينكما من جديد».

«لا أعتقد ذلك، فلورا، للحقيقة لا مجال للتفاهم بيني وبينها، كل ما يهمني هو مايك. لو تعلمين كم أحبه!» وضمها اليه من جديد وتركته يداعب شعرها وكتفيها وكأنه يداعب طفله.

أحست الفتاة بنبضات قلبه فرفعت وجهها نحوه فرأته يتأملها جيداً.

«فلورا...».

عندئذ فقط فهمت من نظراته انه يرغب بها.

«اوه، فلورا» وتنهد بينما شفتاه تضمان شفتيها بقبلة حارة.

لم تحاول الفتاة ان تبتعد عنه، انها سعيدة بين ذراعيه تنهل من بحر الحب الذي يكاد يغرقها.

«باسكال» تلفظت باسمه ورفعت يديها لتحيط بعنقه، ورغماً عنها أحست بأنها تذوب تحت لمساته الدافئة لتصبح طيعة بين ذراعيه.

«حبيبتي، كم انت رائعة!» همس بأذنها ليعود الى شفتيها المرتجفتين.

كانت لمساته مثيرة حنونة فتنهدت الفتاة رغماً عنها من اللذة.

كان كل جسدها يناديه، انها لم تعد قادرة على السيطرة على نفسها، لقد طغت انفعالاتها على عقلها...

فجأة، سمعت خطوات تقترب من الباب...

«توقف، حباً بالسماء، أرجوك!».

تجمدت يد باسكال ولاحظ فجأة نظراتها المعلقة نحو الباب.

- ١٠ -

فابتعد عنها بسرعة.

بعد لحظات دخل دايفيد وأخبره انه والموظفان الآخران سيذهبا الى منزليهما قبل ان تقطع بقية الطرقات من قوة السيول.

«حسناً دايفيد، سأقفل المكتب بنفسي وأصطحب الآنسة الى منزلها».

«لا أعتقد ان حالة الطريق المؤدية الى منزل السيدة برناديت جيدة...».

«لا تقلق، سأتصرف».

كانت الفتاة قد استغلت فرصة دخول الرجل ووقفت أمام

www.elromancia.com

النافذة وكتفت يديها على صدرها. كانت لا تزال ترتعش. وعندما أغلق الباب، أخذ يراقبها ونيران الرغبة تشتعل في عينيه.

ماذا لو حاول ان ينقض عليها من جديد، في هذه الحالة، لن تتمكن من الدفاع عن نفسها.

لكنه، وبجهد كبير، تمكن من السيطرة على نفسه. تراجعت الفتاة خطوة أخرى حتى التصق ظهرها بزجاج النافذة كانت مرتبكة وخائفة، مرتبكة من قوة مشاعرها وخائفة من الضعف الذي تملكها ويمنعها من مقاومته اذا حاول. . .

«لا تنظري الي بخوف، فلورا. لم أكن لأرغمك على شيء ترفضينه، لكنني أحسست بأنك تبادلينني رغباتي. . . ».

«لا!» أجابته بسرعة وبدون تفكير.

«ربما انت لا تعرفين بعد كيف تميزين بين الرغبة في الحب والخوف منه، لكني سأعلمك كيف تتغلبين على الخجل. . . ».

«باسكال، أرجوك، لا تسيء فهمي. . . هيا بنا لنذهب».

ناولها جاكيته السميكة وقبعته وأجبرها على قبولهما ثم تفقد أبواب المكتب وأقفل الباب الخارجي وحملها رغم اعتراضها ووضعها على المقعد الأمامي في سيارته.

وعندما جلس خلف المقود كانت ملابسه كلها مبللة وقطرات المطر تتساقط من شعره الذي التصق بوجهه.

«شكراً لك» قالت له بخجل عندما أدركت انها كانت ستبتل من رأسها حتى أخمص قدميها لو لم يحملها.

ابتسم بسخرية وانطلق بسيارته دون ان ينطق بحرف واحد.

لكن لم تقطع السيارة سوى مئتي متر حتى توقف باسكال ومساحات المطر لا تزال تحاول قدر الامكان ان تسمح له بالرؤية.

«لن تستطع التقدم أكثر. يبدو ان سيارة أحدهم تعطلت في منتصف الطريق فتركها وتابع سيراً على الأقدام».

قال الشاب وهو يمسح بخار الماء عن الزجاج براحة يده.

«يا الهي!» هل سنبقى هنا؟ ماذا سنفعل؟» سألته الفتاة مذعورة وكأنه هو الذي تعمد قطع الطريق.

«لا مجال للتقدم كما ترين. لنذهب الى منزلي».

«مستحيل» صرخت بلا وعي.

«ألديك حل آخر؟» سألها بحدة.

«لا بد ان هناك طريق آخر».

«لا، لا يوجد طريق آخر. واذا أردت سنترك السيارة هنا ونتابع سيراً على الأقدام».

نظرت الفتاة جيداً من خلال المساحات التي لا تزال

تعمل.

«ماذا تقولين؟» سألها ضاحكاً عندما لاحظ ترددها وأدار محرك السيارة ليدور بها نصف دورة ويسلك الاتجاه المعاكس.

اضطرت الفتاة للرضوخ والتزمت الصمت لأنها لا تملك خياراً آخر. ولكنها صرخت من الخوف عندما أخذت السيارة الجيب تتمايل بقوة وهي تدوس على حجارة كبيرة جرفها السيل الى الطريق.

«لا تخافي، هذه السيارة مخصصة للطرقات الوعرة» طمأنها دون ان يبعد نظره عن الطريق.

عندما وصلا، نزلت الفتاة من السيارة بسرعة كي لا تسمح له بحملها مرة ثانية وانتظرته أمام الباب حتى أوقف سيارته وفتح الباب الخارجي بمفتاحه.

«لماذا لم تنتظري، لقد ابتلت ملابسك كلها».

دخلت الفتاة ولم تجبه ورمت نفسها على أقرب مقعد لتخلع حذاءها الذي دخلته المياه.

خلع باسكال بوطه الطويل وأسرع نحوها.

«يجب ان تبدلي ملابسك على الفور كي لا تصابي بالبرد... دومنيك، دومنيك» وأخذ ينادي للخادمة لتساعدها.

«لماذا لا تجيب هذه الغبية» صرخ بحدة ودخل المطبخ بحثاً عنها.

عاد بعد لحظات ونظر الى الفتاة التي ترتجف من البرد، لكنها لم تفهم معنى نظراته.

«يبدو انها عادت الى منزلها قبل تساقط المطر».

تذكرت الفتاة فجأة ان والده أيضاً ليس موجوداً في المنزل، فأحست بالقلق ولم تتحرك من مكانها.

«تعالي، فلورا، سأجد لك شيئاً ترتدينه» ومد يده نحوها.

«لا، ستجف ملابسي بعد قليل».

«مستحيل، لقد وصل الماء حتى عظامك» ثم ضحك بسخرية وأضاف:

«انت خائفة مني، أليس كذلك؟ أؤكد لك أنني سأكون لطيفاً وسأحاول ان أعتبر نفسي أقضي بقية النهار مع شاب صديق لامع فتاة مثيرة مثلك».

نهضت فلورا رغماً عنها وتبعته الى الطابق العلوي حيث فتح باب غرفته ودعاها للدخول.

«هذه غرفتك؟».

«نعم».

«لن أدخلها» قالت له بحزم.

حملها باسكال دون ان يهتم لاعتراضها ولم يتركها الا في الحمام.

«خذي دوشاً دافئاً وسأحضر لك روب الحمام».

أغلقت الفتاة الباب بوجهه وكانت متأكدة انها آلمته،

وأخـذت تخلع ملابسهـا والدمـوع تنهمر من عينيهـا لتمتزج بقطرات الماء التي تتساقط من شعرها.

وقفت طويلاً تحت الدوش حتى أحست بالـدفء يتسلل الى قلبهـا، وعنـدمـا انتهت لفتت نـظرهـا أدوات الحـلاقـة وفرشاة الشعر التي فوق رف المغسلة.

- ١١ -

www.elromancia.com
مـرومـانسيـة

لقـد استحمت في حمام رجـل وبين أشيـاءه الحميمـة. شعرت الفتاة بالخجل وقرعت على الباب.

«باسكال، باسكال، أين انت؟».

«أنـا هنا بـانتظارك» جـاءهـا صـوت بـاسكـال من خلف الباب.

«افتحي وخذي الروب».

ترددت الفتاة طويلاً ولم تفتح.

«فلورا، لا تتصـرفي كالصغـار، سأنـاولـك الـروب وأنـا مغمض العينين».

وبـالفعل، مـد يده عبـر فتحة البـاب وظل وجهـه خلفـه

تناولت الروب بسرعة وأغلقت الباب من جديد فسمعت صرخة قوية.

«يا لك من مجرمة. في المرة الأولى أصبت أنفي وها أنت الآن تصيبي يدي. ماذا فعلت لأستحق منك كل هذا؟».

خرجت الفتاة من الحمام وهي تلف الروب المنشفة الطويل الواسع جيداً حول خصرها وصدرها.

«أنا آسفة. أين يمكنني ان أجفف ملابسي؟» سألته وهي تحاول ان لا تبتسم.

«لقد أشعلت النار في المدفئة هنا وفي الصالون. ضعي ملابسك هنا أمام هذه المدفئة ولننزل لنأكل شيئاً ساخناً في الأسفل، أنا أتضور من الجوع».

«أليس لديك شيء آخر أرتديه غير هذا الروب؟».

«انت جميلة جداً هكذا. اللون الأزرق يناسبك تماماً» ثم وضع ذراعه حول كتفيها ونزلا معاً الى الأسفل.

كان باسكال قد استحم في حمام آخر فأحست الفتاة برائحة الشامبو في شعره وكانت هذه الرائحة كافية لإرباكها. وقد بدل ملابسه وارتدى بنطلون جينز أزرق وكنزة رمادية.

لحسن الحظ، كانت الخادمة قد أعدت قبل رحيلها شوربة الخضار مع الدجاج، فوجدت الفتاة الطعام شهياً وسرعان ما شعرت بالاطمئنان.

رفع باسكال الأطباق وعاد الى الصالون ليجلس مقابلتها أمام المدفأة حيث تتوهج النار وتفرقع فتضفي على الغرفة جواً رومنسياً دافئاً.

«لا بد ان عمتي قلقة علي» قالت الفتاة لتقطع الصمت المحرج الذي ساد بينهما.

«ستدرك انك هنا. . .» أجابها بشرود وهو يضع مزيداً من الحطب في المدفأة، ثم نهض وعاد الى مكانه وتأمل الفتاة التي أصبح خداها أحمرين بلون الدم.

«هل انت مرتاحة الآن؟».

أخفضت نظرها ولم تجبه، فنهض وجلس بجانبها وأمسك يدها.

«أنا أشكر السماء لأنها أمطرت واضطرتك للجوء الى منزلي. . .» وانحنى ليطبع قبلة هادئة على شفتيها.

«لا!» صرخت:

«لا! لا تلمسني!» وحاولت النهوض.

لكن يدي باسكال شدتا على كتفيها ومنعتها من النهوض. فأحست بحرارة يديه من خلال قماش الروب السميك.

«ما بك، فلورا؟» سألها بصوت عذب وهو ينظر الى عينيها.

«تعرفين ما هي مشاعري نحوك، ومع ذلك تظهرين باردة، بعيدة، متحفظة. . . لماذا؟ لأنني رجل متزوج؟».

ابتعدت عنه وانهمرت دمعة على خدها. نعم، انها تحبه لكنها لا تثق به لأنه متزوج.

وقف الشاب أمام النافذة ودس يديه في جيبيه، فتأملته بحزن وتمنت لو انها تستطيع ان تبوح له بحبها وتستسلم بين ذراعيه، لكن لن يكون هناك مستقبل لعلاقتهما، فبعد أيام ستعود هي الى عائلتها وتعود زوجته اليه.

«انت لم تجيبي، فلورا، أتتجنبينني فقط لأنني متزوج؟».

«باسكال، أرجوك افهمني، لست مستعدة لإقامة علاقة من أي نوع في هذه الفترة، هذا بالإضافة لوضعك غير المستقر و...».

«بالنسبة لزوجتي، سأنفصل نهائياً عنها عندما أراها ونتفق على الطلاق، أشعر بأنك ستكونين الزوجة المثالية لي اذا وافقت على الاقتران بي...».

«لكنني لا أرغب بالزواج» قاطعته بحدة وهي مقتنعة ان أحلامها لن تسمح لها بحياة هادئة مع أي رجل.

«لماذا؟ وهل انت مختلفة عن بقية الفتيات اللواتي يبحثن بأنفسهن عن الزواج؟».

«نعم، أنامختلفة».

تأملها باسكال قليلاً ثم ابتسم وعاد ليجلس بجانبها.

شعرت الفتاة فجأة برغبة للكلام عن نفسها ومضت ساعة ونصف وهي تحدثه عن طفولتها وعن عائلتها وعلاقاتها الاجتماعية وأخيراً عن أحلامها، وباسكال يستمع اليها

ويداعب شعرها بحنان.

فأسندت رأسها على كتفيه واستغرقت في الحديث.

«لم يكن يجب عليهم ان يعاملوك بقسوة ويهزؤا منك، فلست انت من يصنع الأقدار» قال باسكال وهو يقبل يدها.

«الأحلام لا تراودني باستمرار. وأحياناً تمر الشهور ولا أرى فيها أي حلم».

«كان يجب ان تستشيري طبيباً نفسياً».

نظرت الفتاة اليه نظرة لوم وحاولت ان تبتعد عنه.

«لا، فلورا، لا تسيئي فهمي، أقصد ان الطبيب النفساني قادر على تحليل أحلامك وربطها بالواقع».

«لا أحبذ هذه الفكرة» أجابته بحزم.

«أنا لا أشك أبداً بصحتك العقلية يا حبيبتي».

داعبت هذه الكلمة قلبها فرمت نفسها بين ذراعيه من جديد.

التقت شفاههما بقبلة حارة وأحست الفتاة انها أصبحت أسيرته.

«باسكال...».

أحاطها بذراعيه جيداً قبل ان تتمكن من النهوض.

«باسكال... أرجوك...».

انحنى فوقها يداعب فمها بطرفي شفتيه.

«تعلمين انني لن أتمكن من السيطرة على نفسي أكثر، هذه الليلة، ستكونين لي!».

قاومي! ناداها صوت الوعي. لكنها كانت شبه مشلولة!

استرخت رغماً عنها وقدمت له شفتيها ووهبته نفسها!.

في صباح اليوم التالي، ظلت الفتاة عدة دقائق مستلقية على ظهرها تتساءل هل كانت تحلم. لكن هذه غرفة باسكال وهذه ملابسها قرب المدفأة... انتفضت بسرعة وأدركت انها تغيرت ولم تعد نفسها لقد أصبحت امرأة... كما تغير الطقس وتوقف المطر.

ولكنها حزينة نادمة الآن. لقد تركها في سريره وخرج بعد ان نال ما كان يسعى اليه.

- ١٢ -

نهضت الفتاة وارتدت ملابسها وبينما كانت تسرح شعرها، لفتت نظرها رسالة موجهة اليها بجانب المرآة.

«فلورا، اضطرت للخروج لمساعدة أبناء البلدة بفتح الطرقات. تركت لك مفاتيح الجيب، بإمكانك العودة الى منزل عمتك اذا أردت، أخبروني ان صاحب السيارة التي كانت تقطع الطريق أخذها. باسكال».

مزقت الورقة بحدة ورمتها على الأرض.

المحتال السافل، بالأمس كان يناديها بأعذب الكلمات بينما يكتفي هذا الصباح بمنادتها بفلورا فقط.

أخذت مفتاح الجيب ونزلت بسرعة لكن الخادمة رأتها

www.elromancia.com

تمر في الصالون، فلم تعرها الفتاة أي اهتمام ولعنت الطقس الذي عرضها لسخرية الخادمة وخرجت.

لم تجد عمتها في المنزل عندما وصلت، فشعرت بالراحة، هذا يوفر عليها مقابلتها وسماعها لكلمات التأنيب. لكن الخادمة التي تعمل عند عمتها أخبرتها ان السيد باسكال قابل عمتها في الصباح الباكر وأكد لها انها بخير واضطرت للمبيت في منزله بسبب انقطاع الطريق.

أحست الفتاة بالغضب يغلي في عروقها. يا له من قذر، يتجرأ ويقول انها قضت الليلة في منزله أمام الخادمة كي يشيع الخبر في كل البلدة.

حبست نفسها طوال النهار في غرفتها يلتهمها الندم لأنها استسلمت له، وبنفس الوقت كانت لا تزال تشعر بشفتيه ولمساته تداعب جسدها وتشعل نار عواطفها لتحولها الى امرأة في لحظات.

الأفضل لها ان تتجنبه في الأيام التالية كي لا يسخر منها من جديد، كانت ليلة وكفى، يجب ان يعلم انها لن تكون عشيقة له خلال هذه الأيام.

نعم، كانت ليلة، ولكن هذه الليلة غيرت الفتاة وفتحت عينيها على أشياء أخرى لم تكن تعرفها. لقد عرفت الحب والرجال. وفهمت الآن معنى تلك الكلمات التي كانت تسمعها من صديقاتها وتقرأها في الروايات.

باسكال نادته بقلبها وتحسست جسدها كما كان يفعل

ليلة أمس لتدرك ان كل ذرة فيها تحبه وتناديه.

عندما عادت عمتها، توقعت الفتاة ان تسمع بعض اللوم لأنها لم تسمع نصيحتها وتبقى في المنزل بالأمس. لكن يبدو ان عمتها الساذجة تثق بباسكال كثيراً وتعتقد انه رجل شريف لا يستغل براءة فتاة لجأت الى منزله. وطوال السهرة ظلت تحدثها عن شجاعة باسكال وشهامته. فكل سكان البلدة يتكملون عنه وعن إقدامه عندما ساعد الشبان في فتح الطرقات وإصلاح خطوط الكهرباء والهاتف.

في المساء، كانت قد اتصلت والدة فلورا لتطمئن عنها وشجعتها على البقاء في الريف اذا كانت سعيدة.

آه لو انها تعرف ماذا وجدت ابنتها في الريف ومدى خيبتها!.

أوت الفتاة الى فراشها وبدا لها هذه الليلة واسعاً خالياً وبارداً. غطت نفسها جيداً والتفتت نحو اليمين وكأن باسكال نائماً الى جانبها.

... انها تركض... لاهثة... تحمل طفلاً يبكي وتركض... هناك من يتبعها في الغابة، يريدون ان يخطفوا الصغير، يجب ان تصل الى ذلك النور. لا بد ان أحداً هناك سيساعدها... فجأة تتعثر الفتاة ويقع الطفل من يديها.

استيقظت فلورا في الصباح الباكر مذعورة. يا الهي، نفس الحلم! الحلم يتكرر وهذه اشارة الى ان الحدث

الذي سيحصل بات قريباً.

انها متأكدة ان الطفل الذي بخطر هو مايك ابن باسكال، لكن ماذا يمكنها ان تفعل لأجله؟ تساءلت وهي تروح وتجيء في غرفتها.

ربما جاءت زوجته أو اتصلت. قالت لنفسها وهي متأكدة من ان شيئاً ما حدث مع باسكال أو في بيته.

حدثتها نفسها عدة مرات بالاتصال به أو بزيارته، لكن كبرياءها منعها. قد لا يصدقها ويسخر منها ويتهمها بأنها تسعى فقط لرؤيته بعد ما ذاقت معه طعم الحب والمتعة.

لا، لن تعرض نفسها لسخريته، فكرت وهي تعود من جديد الى فراشها وكانت الشمس قد أشرقت من بين السحب. مهما كانت تنبؤاتها وتكهناتها لن تتمكن من رد القدر أو تغييره.

تقلبت طويلاً في سريرها لكنها لم تتمكن من النوم من جديد. لكن عندما رن جرس الهاتف في الساعة التاسعة، أحست بأن باسكال سيسأل عنها.

وبالفعل، بعد لحظات نادتها الخادمة.

«السيد باسكال يريد ان يكلمك».

هبت الفتاة من السرير ونزلت الدرج بسرعة.

«ألو، باسكال...».

«اسمعي، فلورا» بدأ باسكال بالكلام دون ان يحييها تحية الصباح:

«سأمر لاصطحابك بعد لحظات، الأمر هام جداً. كوني جاهزة».

لم تسأله الفتاة عن طبيعة هذا الأمر الهام لأنها تعلم بأنه متعلق برؤياها.

«ماذا هنالك يا ابنتي؟» سألتها عمتها التي كانت تجلس على الكنبة قرب الهاتف.

«باسكال يعاني من مشكلة، يجب ان أساعده» أجابتها الفتاة وهي تصعد الى غرفتها بسرعة.

«فلورا... فلورا...» نادتها عمتها لكنها لم تجب.

بدلت ملابسها بسرعة فارتدت بنطلون جينز وكنزة صوفية وانتعلت حذاءً طويلاً وعادت الى الأسفل.

«فلورا، ماذا هنالك، أخبريني...» سألتها عمتها بقلق.

«يبدو ان حلمي يتحقق، قد أتمكن من مساعدة باسكال...».

«هل هو بخطر؟».

«لست أدري، ربما هو، وربما ابنه...».

«ألن تأكلي شيئاً؟».

«لا، شكراً».

بعد أقل من خمسة دقائق، سمعت فلورا احتكاك عجلات سيارته عندما أوقفها بسرعة أمام المنزل. خرجت على الفور وقفزت الى السيارة وقد نسيت كل شيء ولم يعد

يهمها سوى مساعدته.

«فلورا، يجب ان تساعديني» قال متوسلاً وهو ينطلق بسيارته مسرعاً:

«لقد اتصلت ساندرا منذ قليل، قالت انها تنزل في فندق في بلدة لابي. توسلت الي كي أحضر على الفور لأن هناك من يتبعها ويحاول قتلها».

«يا الهي! هل مايك معها؟».

«نعم. قالت بأنها جاءت لتسلمني الطفل لأنها خائفة عليه».

- ١٣ -

«ألم تقل شيئاً عمن يلاحقها؟».

«قالت بأنهم قادرون على ايذائها... يا الهي، مايك طفل في الثالثة فقط من عمره، لا يعرف كيف يحمي نفسه...».

كان يقود سيارته بسرعة جنونية وينعطف مع المنعطفات وكأنه يحلق في الجو.

احترمت الفتاة مشاعره وسيطرت على خوفها من سرعته على الطرقات، ولم تكن تعلم كيف ستتمكن من مساعدته.

كانت الطرقات الجبلية خالية تقريباً من السيارات لكن

www.elromancia.com

القيادة كانت خطرة لأن السيول تنحدر من الجانبين وتملأ الطرقات بما تحمله من وحول.

«هل قرية لابي بعيدة؟».

«لا تزال تبعد مسافة نصف ساعة من هنا. أتمنى ان أصل قبل فوات الأوان».

لكن أمنيته لم تتحقق لأنه فور وصولهما الى البلدة ترك سيارته أمام باب الفندق وأسرع الى داخل الفندق فوجد زوجته أمام مكتب الاستعلامات تبكي بمرارة.

ما ان رأته حتى أسرعت نحوه ورمت نفسها بين ذراعيه.

«باسكال، لقد خطفوا ابننا... مايك...».

رغم الدموع التي تنهمر على وجهها وشحوبها كانت ساندرا امرأة جميلة جداً بقامتها الممشوقة وشعرها الطويل الذهبي الذي تربطه بشريطة مذهبة.

كان يقف بجانبها مدير الفندق وموظف الاستعلامات يحاولان تهدئتها قبل وصول زوجها.

أصيب باسكال بصدمة كبيرة عندما تلقى هذا الخبر فأخذ يهز زوجته من كتفيها وهي تتأرجح بين ذراعيه كالريشة الخفيفة وقد انهارت كل قواها.

«من هم؟ متى خطفوه؟ ماذا يريدون؟» سألها باسكال وهو عاجز عن السيطرة على نفسه.

«كنت قد تركته نائماً في غرفتنا في الطابق الثالث ونزلت لأتصل بك من الأسفل من مكتب الاستعلامات لأن الخادمة

أخبرتني ان خطوط الهاتف أصلحت، وعندما صعدت الى غرفتي لم أجده...» ورمت نفسها على المقعد الذي بجانب الكونتوار.

حمل لها الموظف كوب ماء بينما اقترب مدير الفندق من باسكال.

«أهلاً سيد، لقد رأى البواب ثلاثة رجال ينطلقون بسيارة بيضاء باتجاه الشرق. كان أحدهم ينتظر في السيارة بينما دخل الآخران».

«وكيف تمكنا من الدخول ومن خطف الصغير دون ان يراهم أحد».

«لقد تسللوا فاعتقد الموظفون انهم نزلاء أو أصدقاء لبعضهم...».

«هل أخبرتم الشرطة؟».

«لا... لم توافق السيدة» أجابه المدير.

«لماذا؟» سألها باسكال وهو ينظر اليها بحدة لأنها السبب في اختطاف الطفل.

«اذا علموا بأنني اتصلت بالشرطة قد... يا الهي، مايك...». وأجهشت بالبكاء من جديد.

«أرجوك سيد، سجل أي اتصال يتم بالسيدة سأقوم بجولة في المنطقة علي أجد أي أثر لهم».

أخذوا صفات السيارة من البواب وطلب من ساندرا ان ترافقه.

«هيا بنا، ستخبريني كل شيء في الطريق».

ظلت فلورا واقفة مكانها تحاول ان تربط بين كل ما سمعته، ولم تكن ترغب بمرافقتهما، لكن باسكال أصر. فصعدت الى السيارة وجلست على المقعد الخلفي.

نظرت ساندرا اليها بدهشة لكن باسكال قدمها اليها على انها صديقة.

«ألا تعرفين من اختطفه؟» سأل زوجته وهو يتجه بسيارته شرقاً.

«بلى، أعرفهم، لقد تلقيت عدة تهديدات في السابق، لكنني لم أكن أتوقع انهم سيلحقون بي الى هنا».

«ولماذا لم تأتِ الي على الفور؟» سألها والغضب يتطاير من عينيه لدرجة ان فلورا شكرت الله لأنها لم تكن مكانها.

«قالوا لي ان الطريق مقطوع في منطقتكم...».

«ماذا يريدون منك؟ ما الذي دفعهم لاختطاف مايك؟».

«يا الهي؟ انهم مجرمون، لقد أقنعني أحدهم المدعو ستيف للقيام بتهريب المخدرات...».

«مجرمون ومخدرات!» وضحك بسخرية:

«انك انت المجرمة لأنك تورطت معهم ولم تفكري بإبنك...».

«أرجوك، باسكال. دعها تتابع كلامها لنفهم القصة» تدخلت فلورا لأن قلقها على الصغير كان كبيراً خاصة وأنها تعلم انه بخطر.

«قمت له بعمليتي تهريب وكادت الشرطة تقبض علي في العملية الثانية فأقسمت انني لن أعيد الكرة من أجل ابني لكن ستيف أكد لي أن العملية الثالثة ستكون سهلة وسيهتم بمايك أثناء غيابي، لكنني أصريت على الرفض فزارني في المرة التالية مع أحد أصدقائه وترك المخدرات في شقتي كي أهربها في اليوم التالي».

«وفعلتِ؟».

«لا، زارني صديقه الذي جاء معه في الصباح وأخذ المخدرات وقال بأن ستيف طلب منه ان يأخذها، لكن ستيف لم يصدقني واتهمني انني اتفقت مع صديقه لنسرق المخدرات ونبيعها لحسابنا... خاصة وأن صديقه اختفى ولم يترك أثراً وراءه».

توقف باسكال عند مفترق الطرق لا يدري أي اتجاه يسلك وبعد تردد قصير التفت نحو فلورا فلم تدرِ بماذا تنصحه.

«هيا، فلورا، حاولي ان تستدعي خيالك وتحيي أحلامك...» قال لها وكأنه غريق يمسك بخشبة النجاة.

«باسكال، كانت هناك غابة كثيفة في الحلم، لكن الأشجار تنبت في أرض تكثر فيها الصخور...».

«الغابات كثيرة في هذه المنطقة، فكيف نعلم أي غابة قصدها المجرمون؟».

كانت ساندرا تنقل نظرها بينهما والدهشة بادية على

وجهها.

«عما تتكلمان، أية غابة، وأي حلم؟».

«حاولي ان تركزي، فلورا، أرجوك» قال باسكال للفتاة دون ان يهتم لزوجته.

«الأفضل ان نسأل أحدهم عن طبيعة غابات المنطقة فالأهالي هنا أكثر معرفة بمنطقتهم».

«أخشى ان يتعرض الطفل لمكروه اذا تأخرنا...» قالت ساندرا وهي تنظر الى الفتاة بسخرية.

«وهل نعرف مكانه؟ أم انك تريدين ان نضيع الوقت بالدوران في كل الغابات؟» قال لزوجته مؤنباً وعاد الى الوراء يسلك طريق أقرب بلدة اليهم.

- ١٤ -

توقف أمام أول بناء رآه وكان عبارة عن محطة للوقود واستراحة.

فأمر الموظف ان يملأ خزان الوقود. ثم اتجه نحو صاحب المحطة.

بدت الدهشة على وجه الرجل عندما سأله باسكال عن غابة أرضها صخرية. وظل الرجل يتأمل وجه ساندرا الشاحب وظهرت الريبة عليه.

«أرجوك سيدي، لقد خطف أحدهم ابننا، وهناك معلومات انه في غابة صخرية».

يبدو ان الرجل صدقه لأن القلق واللهفة الأبوية كانت

www.elromancia.com

ظاهرة على باسكال.

«لست أدري، لكن هذا الموظف الذي يملأ خزان سيارتك يعرف المنطقة جيداً لأنه يقضي اجازاته في صيد الطيور، سنسأله».

«لماذا لا نتصل بالفندق، قد يكون أحدهم اتصل وترك رسالة، قالت فلورا بينما نادى صاحب المحطة للموظف.

«بإمكانكم استعمال الهاتف، انه هنا» قال الرجل وابتعد ليسمح لباسكال باستعمال الهاتف.

طلب باسكال رقم هاتف الفندق وكان قد أخذه من صاحب الفندق قبل ذهابهم.

بالفعل، كان أحد المجرمين قد اتصل وسأل عن ساندرا وعندما لم يجدها، أخبر موظف الاستعلامات ان الطفل معهم وأنه لن يصاب بأي أذى اذا علموا بمكان الأمانة التي كانت في عهدة ساندرا. وقال بأنه سيتصل في الساعة الثالثة ليكلمها.

«يبدو انهم لم يقنعوا بأنك لا تعلمين مكان الأمانة» قال لها باسكال بحدة.

«أعتقد انهم لم يبتعدوا عن المنطقة لأن الطفل لا يهمهم بقدر ما تهمهم والدته» قالت فلورا بثقة.

كان الموظف يسمع حديثهم ولا يدري عما يتكلمون.

«أيها الشاب، أيمكنك ان تدلنا على غابة كثيفة، فيها فسحات صخرية في هذه المنطقة؟». سألته فلورا.

«الغابات كثيرة هنا، لكن لا توجد غابة صخرية الا في منطقة الشلال».

«شلال... شلال... نعم... شلال، أين؟» قالت فلورا متلعثمة لأنها تذكرت فجأة انها سمعت خرير وتساقط ماء بينما كانت تركض في الحلم.

«أرجوك، تعالى معنا لترشدنا على ذلك المكان» قال باسكال للشاب.

«اذهب معهم، فرانك، ولكن لا تعرض نفسك للخطر...».

أطاع الشاب رب عمله ورافقهم في السيارة الجيب.

«أي اتجاه نسلك؟» سأله باسكال.

«اتجه جنوباً... ولكن هذه الغابة لا تصلها السيارة. والشلال الوحيد بعيد، يجب ان نسير مسافة ساعتين على الأقدام لنصل اليه».

«هذا ليس مهماً، المهم ان نجد الطفل، لقد خطف أحدهم ابننا ويجب ان نصل اليه بأقرب وقت ممكن».

«قد يكون الخاطفون مسلحين!» قال الشاب:

«أتحمل سلاحاً سيد...».

«باسكال... لا، لا أحمل سلاحاً. أتمنى ان لا تحتاج المسألة للسلاح».

«انت مخطىء سيد باسكال» قال الشاب:

«لدي بندقية صيد في منزلي، بإمكاني احضارها...».

«ليس لدي وقت لذلك. اذا كنت تخاف دلنا على المكان وابق في السيارة».

بعد دقائق وصلوا الى طريق مسدود عند أسفل الجبل.

«هنا تنتهي الطريق المعبدة، يجب ان نتابع سيراً، لكنني لا أنصح النساء بمرافقتنا» قال الشاب:

«الطريق وعرة جداً».

«ولكن لا أثر لسيارة المجرمين البيضاء» قال باسكال.

«أليس هناك غابة صخرية أخرى؟».

«لا» أجاب الشاب:

«ولكن هناك أثار عجلات سيارة ألا تلاحظ؟».

«بلى، ولكن أين يخبؤنها؟» سألت فلورا.

«قد يكون أحدهم عاد بسيارته الى البلدة لمراقبة ساندرا أو لشراء بعض الحاجيات» قال باسكال.

«بالتأكيد ذهبوا بالسيارة وإلا كيف اتصلوا بالفندق؟». قالت فلورا.

«انتبه، فرانك، اذا لمحت سيارة تقترب خبىء السيارة خلف تلك الأشجار وعندما يبتعدون، أطلق منبه السيارة لنعرف انهم أتوا».

«لا تتأخروا!» قال الشاب عندما ابتعدوا.

«نتمنى ذلك» أجابه باسكال ومد يده نحو زوجته لتتسلق الصخرة الكبيرة التي يقف عليها.

ما ان وصلا الى أعلى التلة حتى رأوا الغابة تمتد أمام

أنظارهم خضراء ساكنة لا يسمع فيها سوى زقزقة العصافير.

التفت باسكال نحو فلورا فرآها تحدق بالبعيد.

«ما بك، فلورا؟».

«أشعر بأننا لا نزال بعيدين عن الهدف».

«لنتابع سيرنا، لا بد ان مايك خائف جداً بين هؤلاء المجرمين».

فجأة صرخت ساندرا ووقعت على الأرض. التفتا نحوها وانحنى باسكال ليساعدها بالنهوض، لكنها كانت تئن من الألم. لقد انزلقت قدمها في الوحل وعلقت بين حجرين كبيرين. رفع باسكال أحد الحجرين وطلب منها ان ترفع قدمها.

«يا الهي! لا أستطيع، آه...».

«قد تكون أصيبت بكسر...» قالت فلورا وهي تحاول مساعدتها بينما سيطر الغضب على باسكال.

«ماذا سنفعل الآن؟».

«تابعا بدوني، سأنتظركما هنا».

«مستحيل، قد تلسعك حشرة أو أفعى، وقد يراك المجرمون...». قال باسكال وحملها بين ذراعيه القويتين.

«سأعيدك الى السيارة حيث تكونين بمأمن».

«سأبقى هنا بانتظار عودتك» قالت فلورا:

«لا ضرورة لأنزل وأصعد مرة ثانية».

بقيت فلورا بعد ان ألحت كثيراً ولم يبتعد باسكال الا بعد ان وعدته بأن لا تترك مكانها.

اختبأت الفتاة بين الأشجار تترقب عودة باسكال. وبينما كانت جالسة لمحت ضوءاً في البعيد يلمع ثم يختفي من جديد. ركزت نظرها جيداً علها تتبين شيئاً آخر، لكنها لم تر غير هذا الضوء. حدثتها نفسها بالمضي نحو الأمام لكن كلمات باسكال رنت في أذنيها وخافت ان يضيع أثرها.

- ١٥ -

بعد قليل، سمعت ضجة خلفها وكأن أحدهم داس على غصن شجرة يابس. اختبأت جيداً حتى ظهر باسكال من بين الأشجار.

«باسكال. . . لقد أخفتني».

«لا بأس، يا حبيبتي» وضمها اليه:

«أنا معك. هيا بنا».

ثم عاد واستوقفها ليسرق منها قبلة حارة. وعندما رفع رأسه تأملها للحظات ثم قال:

«صلي كي نجده سليماً».

«لدي أمل كبير بإيجاده. كيف تركت ساندرا؟» سألته

www.elromancia.com

محاولة ان تخفي حقيقة مشاعرها.

«كانت تتألم كثيراً، فطلبت من فرانك ان يصطحبها الى عيادة أقرب طبيب ويعود لينتظرنا في السيارة».

«أمتأكد انه سيعود؟».

«نعم، لقد أعطيته مبلغاً من المال، ووعدته بمثله اذا عاد».

«باسكال، نسيت ان أخبرك...».

«ماذا؟».

«رأيت نوراً يلمع من بين الأشجار».

«أين؟» سألها باهتمام كبير.

«في هذا الاتجاه، لكنه بعيد» وأشارت الى جهة الضوء.

وقف باسكال وركز نظره حيث تشير لكنه لم ير شيئاً. فتابعا السير وشعرت الفتاة انه لم يصدقها.

«باسكال، لقد رأيت الضوء عدة مرات...» قالت بيأس.

«لكننا في منتصف النهار. فكيف رأيت نوراً؟» سألها بشيء من السخرية واليأس.

«لست أدري» ثم توقفت عن السير وكانت قد بدأت تشعر بالتعب.

عاد باسكال ليمسك يدها ويحثها على السير لكنها أمسكت يده بكل قوتها.

«انظر، انه نفس الضوء» وأشارت بيدها الى جهة

الضوء.

نظر باسكال عندئذ ورأى الضوء الذي تشير اليه، كان يضيء ثم يختفي بسرعة.

«انت محقة، لكنه ليس ضوء مصباح أو كهرباء. انه انعكاس نافذة زجاجية... لا بد ان أحداً يسير بجانبها فيخفي بظله نور الشمس الذي ينعكس على الزجاج. أو ان أحدهم يفتح النافذة ثم يقفلها بسرعة».

«ولكن، أيمكن ان يكون هناك منزل ما؟».

«قد يكون منزلاً لأحد الصيادين أو مركزاً لحراس الغابات...».

«لكنه نفس الضوء الذي رأيته في الحلم».

«اذاً هيا بنا لنسرع قبل فوات الأوان».

بعد ساعة أخرى من السير بين الأشجار والأعشاب وفي الوحول، لاح لهما كوخ صغير يحيط به حديقة صغيرة مسيجة وتقف أمام سيارة بيضاء.

«انهم الخاطفون...» قال باسكال بصوت هامس وطلب من الفتاة ان تخفض رأسها كي لا يروهما.

«ماذا سنفعل الآن؟ لا بد انهم مسلحون» قالت الفتاة وبدأ الخوف يغزو قلبها.

«يجب ان نستعمل الحيلة لأن القوة ليست متعادلة بيننا وبينهم».

«أليس من الأفضل ان تبقى انت هنا بينما أذهب أنا

لإحضار الشرطة».

«لا، قد يرحلون ويختفي أثرهم مرة ثانية».

«يجب ان نعلم كم رجلاً في الداخل».

«باسكال، ألم يقل الموظف الذي في الفندق انهم سيعاودون الاتصال بساندرا في الساعة الثالثة؟».

«بلى، ولكني لا أعتقد انه يوجد هاتف داخل هذا الكوخ».

«كم الساعة الآن؟».

«أصبحت الساعة الثانية ظهراً».

«الأفضل ان ننتظر، فهم لن يأخذوا الطفل معهم، هكذا يقل عددهم. اذا هاجمت اثنين أفضل من ان تهاجم ثلاثة...».

«انت على حق، فلورا، لست أدري ماذا كنت سأفعل بدونك».

أخفضت الفتاة نظرها وهي تفكر كيف ستكون حياتها بعيداً عنه، لقد عادت زوجته وبإذن الله سيستعيد طفله ويعيشوا جميعهم حياة سعيدة لن يكون فيها مكان لفلورا.

عندما رفعت رأسها من جديد رأته يتأملها بصمت.

«عيناك رائعتان ببراءتهما... كنت أتمنى ان أقضي معك نهار البارحة، لكني رأيت شبان البلدة يمرون مع جرافاتهم وأدواتهم فلم أستطع ان أمتنع عن نداء الواجب وعندما استيقظت صباح هذا اليوم كانت صورتك أول شيء

خطر ببالي وأردت ان أزورك وأعتذر منك لأنني تركتك وحدك في اليوم السابق، لكن ساندرا واتصالها أربكاني وبات كل همي الآن ان أجد مايك سليماً» وضمها الى صدره بحنان وحب يمتزجان بقلق الوالد وخوفه على ابنه.

مرت الدقائق ببطء شديد. وعندما أشارت عقارب الساعة الى الثانية والنصف، فتح باب الكوخ وخرج منه رجل واتجه نحو السيارة بينما وقف الآخران أمام الباب يتحدثان معه.

«أين مايك؟» تساءل باسكال وحاول النهوض لكن فلورا شدت على يده.

«اهدأ، باسكال، اهدأ أرجوك».

في هذه اللحظة ظهر الطفل مايك الذي خرج من الكوخ ووقف بين الرجلين.

لم يكن بإمكان باسكال وفلورا سماع أصواتهم، لكنهما شاهدا السيارة تنطلق بينما حمل أحد الرجلين الذين بقيا الطفل وأرغمه على الدخول الى الكوخ وأغلق الباب وراءه.

«الآن، حان الوقت، يجب ان نتصرف قبل عودة الآخر» قال باسكال وهو ينهض.

«ما هي خطتك؟».

«اسمعي، سأحاول ان أحدث ضجيجاً يدفعهما للخروج وسألهيهما. بينما تتسللين انت الى داخل الكوخ وتهربي

مع مايك الى السيارة حيث ينتظرنا فرانك. أتعتقدين انك قادرة على ذلك؟».

«سأبذل قصاري جهدي، ولكن... انت؟ كيف ستواجههما وأنت لا تحمل سلاحاً؟».

«لا تقلقي، سأحاول، لا تنسي ان الطفل المخطوف هو ابني...».

«ليتنا أحضرنا الشرطة معنا!» قالت الفتاة وهي تمسك يديه.

«فلورا، انت أملي الوحيد، اهربي مع مايك، واذا... واذا لم أعد...».

«لا، لا تقل هذا، باسكال... ستعود سليماً» وانهمرت دموعها.

«الوقت ليس وقت بكاء، يا حبيبتي، ليكن الله معنا».

- ١٦ -

تسللت فلورا على مهل حتى وصلت الى الجهة الخلفية من الكوخ حيث انتظرت اشارة باسكال.

بعد قليل رمى باسكال حجراً صغيراً أصاب به باب الكوخ، على الفور، فتح الباب وأطل أحد الرجلين برأسه شاهراً مسدسه، فرمى باسكال بحجر آخر واختبأ، عندئذ خرج الرجل وأخذ يتلفت يميناً ويساراً، لكنه لم ير أحداً فنادى على زميله وقال له بأن أحداً ما يختفي بين الأشجار.

ما هي الا دقائق حتى خرج الرجل الآخر يحمل مسدساً أيضاً.

«اذهب انت من هذه الناحية وسأبحث أنا في الناحية

www.elromancia.com

الأخرى، هيا بنا نلقن هذا الذي يتجرأ على اللعب معنا درساً لن ينساه» قال الأول وافترقا كل واحد من جهة.

خرجت الفتاة من مخبئها وهي ترتجف من الخوف ودخلت الى الكوخ فوجدت الطفل مقيداً على الكرسي وقد ربطوا عصبة حول فمه.

فكت قيده بيديها المرتجفتين ولكنها أبقت على العصبة على فمه كي لا يصرخ.

«لا تخف، يا صغيري، والدتك ساندرا ووالدك باسكال أرسلاني كي أعود بك اليهما. لا تخف، سنكون بأمان».

وحملته بين ذراعيها وخرجت تركض به.

في هذه الأثناء، كان باسكال قد تسلق شجرة قريبة من المنزل، وما ان اقترب أحد الرجلين منها حتى قفز باسكال عليه وتدحرج الرجلان معاً بضعة خطوات تمكن باسكال خلالها من ان يسلب المجرم مسدسه ويضربه ضربة قوية جعلته يقع ويصطدم رأسه بإحدى الصخور.

كان المجرم الثاني قد لمح الفتاة وهي تهرب مع الصغير، فأطلق رصاصة تحذيرية وتبعها تاركاً أمر باسكال لزميله الآخر.

«توقفي أيتها اللعينة، وإلا أطلقت النار مباشرة عليك...».

استمرت الفتاة بالركض وهي تحمل مايك الذي دس رأسه في صدرها من الخوف.

كانت الفتاة تركض بسرعة لكنها تشعر بأن المسافات تمتد تحت قدميها.

يا الهي المسافة طويلة ولن أتمكن من الوصول الى السيارة قبل ان يمسك بي هذا المجرم، قالت لنفسها وهي تلهث من شدة التعب والخوف دون ان تهتم للأشواك التي تجرح ساقيها رغم سماكة القماش الذي ترتديه ودون ان تهتم للأغصان المشابكة التي تعلق بشعرها.

«توقفي أيتها اللعينة».

يا الهي، لقد أصبح قريباً منها وبإمكانه ان يصيبها برصاصاته بكل سهولة.

«لن تتمكني من الهرب».

في هذه اللحظة انزلقت قدمها وكاد مايك يسقط على الأرض فرمت نفسها بسرعة كي تخفف أثر الصدمة على الصغير، وقد باتت متأكدة انها هالكة لا محالة. فضمت الصغير الى صدرها وأغمضت عينيها. وعندما سمعت خطوات المجرم وراءها بدأت تعد ما تبقى أمامها من دقائق على قيد الحياة، لكنها فجأة، سمعت خطواته تبتعد من جديد.

لا يمكن ان لا يكون قد رآها، فهي لا تبعد عنه سوى بضعة أمتار، فرفعت رأسها لترى ما الذي دفعه للتخلي عن قتلها.

«ريتشي... ريتشي... أهذا انت؟» صرخ المجرم

الذي كان يتبعها وهو يلتفت حوله.

نهضت الفتاة من جديد وهربت. لقد أصبحا اثنين فهل ستتمكن من الهرب منهما.

لكن الرجل الآخر لم يكن سوى باسكال الذي انقض على المجرم بكل قوته.

«اهربي، فلورا، اهربي...» صرخ باسكال وهو يضرب الرجل بمؤخرة مسدسه.

«باسكال...».

«اهربي...» صرخ مجدداً، وقد وقع مسدسه من يديه.

لم تعد قدماها قادرتين على حملها، فوقفت مترددة بين ان تستمر بالهرب وبين ان تهب لمساعدة باسكال الذي أصبح تحت المجرم الذي رفع مسدسه وصوبه نحو رأس باسكال وشل حركته.

لم تدرِ الفتاة كيف ومن أين جاء باسكال بالعصا التي رمى بها على وجه الرجل وبلمح البصر أصبح هو فوقه وأخذ ينهال عليه ضرباً حتى كاد الرجل يموت بين يديه، ثم أمسك المسدس الذي سقط منه وصوبه الى رأس الرجل.

في هذه اللحظة، لمحت فلورا الرجل الأول الذي كان باسكال قد تخلص منه أولاً يتجه نحو الرجلين والدماء تسيل من وجهه.

«باسكال، احذر!» صرخت الفتاة بيأس، فرفع باسكال المسدس وأصاب الرجل الذي كان يقترب فأرداه قتيلاً ثم كتف يدي الآخر ودفعه للنهوض.

«فلورا، أنتما بخير؟».

«نعم» أجابته الفتاة ورفعت العصبة التي كانت تكم بها فم الصغير.

«بابا، بابا...» صرخ الصغير وحاول ان يركض نحو أبيه لكن فلورا منعته خوفاً عليه.

«لا بأس، فلورا، هذا الرجل لن يجرؤ على القيام بأية حركة».

في هذه اللحظات، سمعا صوت الشرطة عبر مكبر الصوت.

ما ان قبضت الشرطة على المجرم حتى أسرع باسكال يضم فلورا وابنه الى صدره ويمطرهما بالقبل.

«لقد أصبحت بأمان الآن، يا بني، والفضل يعود للآنسة فلورا...».

اضطرت فلورا لمرافقتهما الى قسم الشرطة للإدلاء بأقوالها، ثم أوصلها أحد الشرطيين الى منزل عمتها حيث استحمت ونامت حتى صباح اليوم التالي من شدة تعبها.

كانت في المساء عند عودتها قد أخبرت عمتها بكل شيء، وهنأتها عمتها على شجاعتها، لكنها لاحظت من خلال كلمات الفتاة انها وقعت بحب باسكال، ولهذا عندما طلبت منها فلورا في الصباح ان توصلها الى محطة القطار لم تمانع. فهي تعلم ان تجربة الفتاة بالحب كانت قاسية، لقد وقعت بحب رجل متزوج. فمن الأفضل ان تعود الى باريس حيث لا تراه ولا تسمع صوته مما يساعدها على

نسيانه.

وهكذا طلبت لها عمتها سيارة أجرة توصلها الى محطة القطار. وضعت الفتاة حقيبتها في السيارة ثم قبلت عمتها وشكرتها على استضافتها.

استقلت الفتاة القطار الذي سيعيدها الى باريس، وهي تشعر انها تركت قلبها في قرية لافيني.

هذا أفضل على كل حال، قالت لنفسها ومسحت الدموع التي تغسل وجهها.

- ١٧ -

نعم، الأفضل ان تعود لتعيش حياتها التي اعتادت عليها. لا مستقبل لعلاقتها مع باسكال، ولا يمكنها ان تسمح لنفسها بأن تفرق عائلة اتحدت من جديد.

ماذا يفعل باسكال الآن؟ تساءلت بمرارة. بالتأكيد لديه ما يشغله عن التفكير بها. لا بد انه قضى الليلة الماضية مع زوجته... عضت على شفتها السفلى حتى أحست بالألم ثم حاولت ان تنسى مشاعر الغيرة التي تلتهم قلبها. هل كانت تتوقع ان يطرد زوجته والدة طفله ليتزوج منها هي؟ ولكن لا، من الطبيعي انه يفضل ساندرا عليها واذا كان قد أحب فلورا لبعض الوقت، فزوجته ستكون قادرة على محو

www.elromancia.com

هذا الحب العابر من قلبه.

على كل حال، هذا ليس مدهشاً، قالت لنفسها بحزن. ساندرا جميلة جداً، بينما فلورا فتاة تعيسة لا تشرق فيها سوى هاتين العينين اللوزيتين...

تضاعف شعورها بالانقباض مع مرور الدقائق، وأدركت انها بعد تلك الليلة التي قضياها معاً ستعيش على ذكراها ولن تعرف السعادة مع رجل آخر. كم كانت غبية عندما استسلمت له! لقد أصابت بالرحيل وإلا كيف كانت ستتحمل رؤيته يهتم بإمرأة أخرى غيرها؟ أغمضت عينيها علها تطرده من خيالها لكن صورته وهو يضم زوجته بين ذراعيه ظلت ترهقها وتعذبها...

أحست الفتاة ان هذا القطار السريع يزحف اليوم زحفاً بطيئاً وكأنه لن يصل الى باريس. كم تختلف هذه الرحلة عن الرحلة الأولى عندما جاءت الى الريف والتقت بباسكال في المحطة، ستنزل اليوم في باريس ولن يستقبلها أحد، حتى انها رحلت عن البلد دون ان تودعه. وهل كانت تقوى على وداعه؟ سألت نفسها وهي تنزل من القطار محطمة الفؤاد.

في اليومين التاليين على عودتها، لاحظت والدتها هدوء ابنتها وغرقها المستمر في الصمت، وتبدل موقفها من شقيقاتها، كانت الفتاة تتحمل سخريتهن منها ولا تغضب وتبقى بينهن ولا تعزل نفسها في غرفتها كما كانت تفعل في

السابق.

وعندما سألتها والدتها كيف قضت الاجازة عند عمتها وعن سبب عودتها قبل ان ينتهي الاسبوعان، لم تخبرها الفتاة عن مغامرتها العاطفية التي خرجت منها محطمة الفؤاد، ووصفت لها صاحب المشاتل السيد باسكال بأنه عجوز هرم.

في صباح اليوم التالي، ألحت عليها والدتها كي ترافقهن الى حفلة عيد ميلاد صديقتها. لكن الفتاة رفضت وقالت انها تعاني من صداع مؤلم. ناولتها والدتها حبتي اسبرين وخرجت مع بناتها الأخريات بعد الظهر.

«سنحاول ان لا نتأخر يا بنيتي».

«تمتعن بوقتكن، سأشاهد التليفزيون وأنام باكراً».

لم تتناول الفتاة حبتي الاسبرين لأنها كانت تعلم سبب توعكها. انها تفتقد لباسكال ولا تستطيع طرده من رأسها. خلعت ملابسها ودخلت الحمام حيث وقفت طويلاً تحت المياه الحارة تدلك جسدها بالصابون بدون وعي وكأنها بذلك تخلص نفسها من كل متاعبها.

لقد مر اليومان الأخيران وكأنهما الجحيم. لم تعد قادرة على متابعة دروسها ولا على التأقلم مع عائلتها... الألم يعتصر قلبها. يقولون ان الزمن كفيل بمعالجة آلام القلب، لكنها لا تصدق هذا الكلام! وكيف تنسى الساعات الجميلة التي قضتها مع باسكال.

لا يمكنها ان تلومه، طبعاً. فمنذ البداية وهي تعرف انه متزوج، وأنها ليست بجمال زوجته. ومع ذلك، تركته يأخذ كل ما لديها، حبها، طهارتها وقلبها، وبالمقابل لم يمنحها سوى بضعة ساعات من الحب الذي لا أمل منه. كيف تجرأت وطمعت في شيء آخر؟.

قطع جرس الباب حبل أفكارها. لا بد ان والدتها عادت بسبب قلقها عليها ونسيت مفتاحها ولم تأخذه معها، لفت المنشفة الكبيرة حول جسدها النحيف وأسرعت نحو الباب ورنين الجرس لم يتوقف بعد.

«أنا قادمة، يا أمي، اصبري...» صرخت الفتاة وهي ترفع قبعة الدوش النايلون عن شعرها.

«نسيتِ مفاتيحكِ... باسكال!».

«مساء الخير، فلورا» قال باسكال بجفاف.

«ماذا... ماذا تفعل هنا؟» سألته متلعثمة وهي تتأمل قامته الطويلة وأناقته. انه أجمل رجل رأته في حياتها. فكرت بحزن وهي ترفع نظرها الى وجهه.

«ألن تسمحي لي بالدخول؟».

كانت الفتاة لا تزال تحت تأثير الصدمة، فظلت واقفة تسد عليه الطريق.

«لكنني وحدي و...».

«هذه ليست المرة الأولى التي نكون فيها وحدنا... أم انك ترفضين استقبالي» أضاف بسخرية:

«لكنك بهذه المنشفة تبدين أكثر جمالاً مما كنت عليه عندما ارتديت روبي الفضفاض».

كادت الفتاة تغلق الباب بوجهه، لكنه دخل رغماً عنها.

احمر وجه الفتاة وشدت المنشفة جيداً حول جسدها العاري.

«ماذا تريد؟» سألته دون ان تجرؤ على النظر اليه مجدداً.

«لماذا رحلت دون ان تودعيني؟ لم أكن أعتقد انك قاسية لهذه الدرجة؟».

«وهل كنت تريدني ان أبقى؟».

«للحقيقة لا...».

«اذاً ماذا جئت تفعل، اخرج من هنا على الفور، اخرج» انفجرت غاضبة.

«اهدأي يا حبيبتي...» وحبسها بين ذراعيه الدافئين.

«لا تنطق بهذه الكلمة» وأخذت تضربه على صدره.

لم يحاول باسكال ان يتجنب ضرباتها، فرفعت نظرها نحوه ورأته يحدق بصدرها وقد انزلقت المنشفة قليلاً عنه، فحاولت اصلاحها. لكنه فعل ذلك عنها.

«مع انني أفعل ذلك مرغماً» قال مبتسماً ثم انحنى ليلتقط شفتيها المرتجفتين.

لم تستطع الفتاة مقاومة هاتين الشفتين واستسلمت لقبلته خوفاً من ان تكون هذه آخر مرة يقبلها فيها.

«باسكال. . .» تلفظت باسمه وهي تفتح عينيها المليئتين بالدموع.

«نعم، أريد ان أسمع اسمي منك، انت لي، فلورا، وسيكون اسمي فقط هو المحفور في قلبك كما سيكون جسدي الذي سيحرك رغباتك!».

وضمها اليه بحنان وقبل عينيها الدامعتين.

«حبيبتي، لا تبكي! يا صغيرتي الجميلة. لا تنكري حبك لي، جئت لأعيدك الى حياتي المظلمة لتنيريها بحنانك».

«باسكال، ماذا تقصد؟».

«ألم تفهمي انني أريد الزواج منك؟».

وداعب شعرها بلطف.

«أتحبني حقاً؟».

«كيف يمكنك ان تشكي بذلك؟ لكن لم يكن بإمكاني ان أطلب الزواج منك قبل ان يحصل الطلاق رسمياً بيني وبين ساندرا».

«وهل حصل ذلك فعلاً؟».

«نعم، ولقد عادت معي اليوم الى باريس لتسافر غداً الى لندن».

«ومايك؟».

«مايك سيبقى معي، لا يمكنني ان أتركه معها بعد ما حصل. هل أعجبك مايك؟».

«كثيراً. أحببته منذ ان رأيته في الحلم، وزاد حبي له عندما عرفت انه ابنك وجزء منك».

«أتمنى ان أنجب له أخاً تكوني انت والدته. . .» وطبع قبلة على خدها.

«هل تقبلين الزواج من رجل لديه طفل صغير ويعيش في الريف؟».

هزت الفتاة رأسها بالإيجاب وأسندته على كتفه.

«ارفعي رأسك لأرى عينيك وقولي لي بصوتك انك تقبلين الزواج مني».

«اوه، باسكال. . .» وخبأت رأسها بصدره.

«هيا، تكلمي. . .» أمرها ضاحكاً.

«أوافق على الزواج منك».

«برافو! أنا أحب الفتاة الخجولة، ولكن ليس دائماً. متى ستعود والدتك؟».

«للأسف لن تتأخر» أجابته ضاحكة.

«حسناً، سأذهب الآن، لقد حجزت غرفة في الفندق، وسأعود غداً صباحاً لأكلم والدتك بالأمر. أتعتقدين انها ستمانع؟».

ضحكت الفتاة.

«لماذا تضحكين؟».

«لأنني أخبرتها بأن السيد باسكال فرنون عجوز هرم».

«أهذا هو رأيك بي؟» سألها ممازحاً.

«سيبقى حبك شعلة فؤادي حتى وإن أصبحت عجوزاً هرماً».

«سيكون الأمر جميلاً عندما نسير معاً في الشارع متعكزين على العصي».

ضحكا بسعادة وأحسا بأن الدنيا كلها تشاركهما سعادتهما.

www.elromancia.com
مرومانسية